أستيجماتزم في المخ

Astigmatism in the Brain>

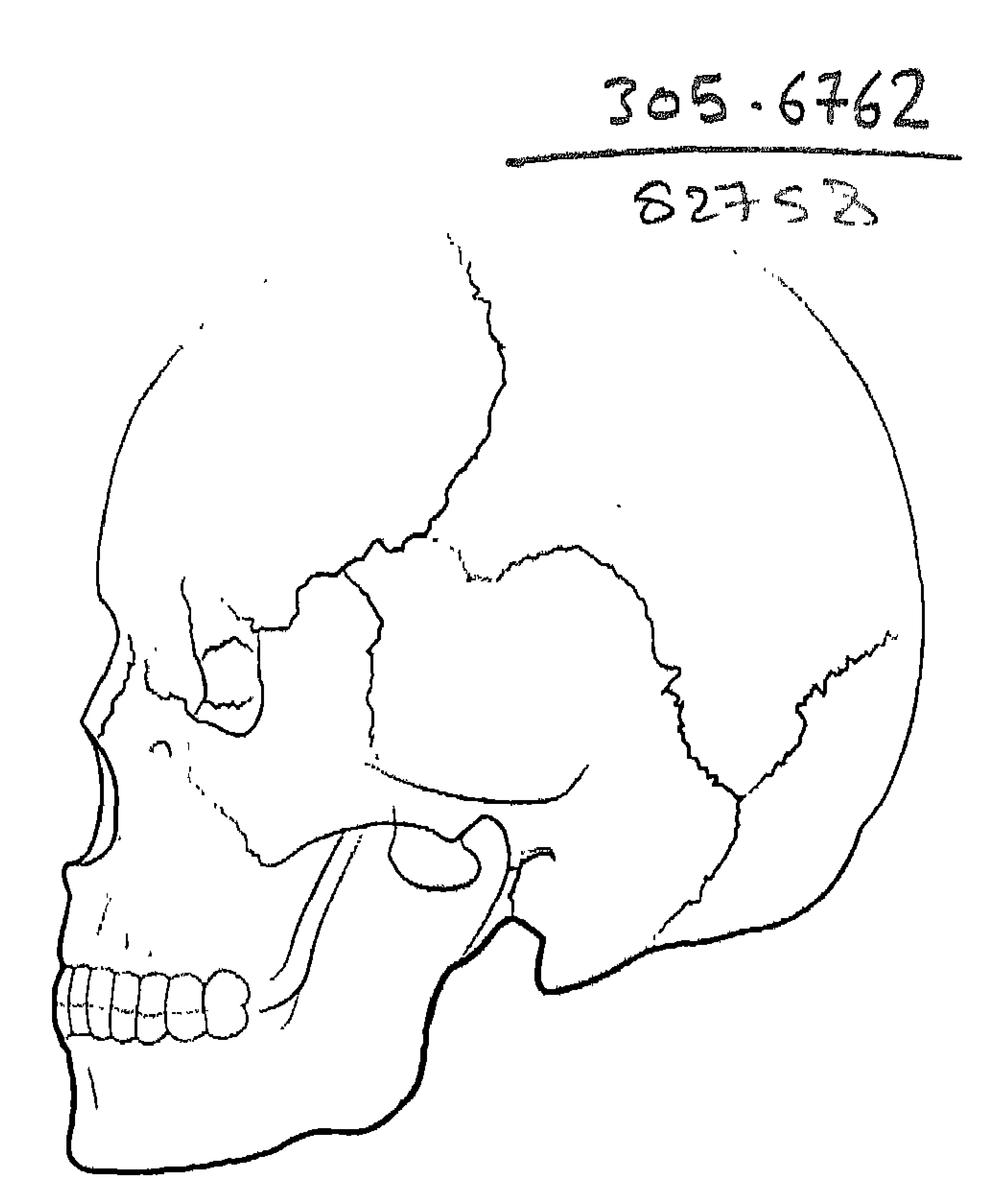
حكايات ساخره عن الأوضاع الطائفية في مصر

مصطفى الصّياد
مينا شِنوده

تقديم
الإعلاميه / رولا خرسا

رسُوم
هاني خالد





استيجماتيزم في المُخ

مصطفى الصياد & مينا شنودة



الطبعة الأولى

ديسمبر 2010

اسم الكتاب: أستجماتزم في المخ

المؤلفان: مصطفى الصياد – مينا شتودة

تصميم الغلاف ورسوم داخلية: هاني خالد

تصحيح لغوي: محمد عبد العاطي

رقم الإيداع: 2010/22082

الترقيم الدولي: 978-977-6376-10-6

***

المدير العام: أحمد أبو زيد

نائب المدير العام: محمد جميل صبري

مدير الحسابات: أحمد السيد

المدير الإعلامي: رائد الهلالي

مدير التوزيع: علاء رزق

دار كيان للنشر والتوزيع – 22 ش الشهيد الحي بجوار مترو أم المصريين – الهرم
هاتف: 0189344096 – 0101872290 – Kayanpub@gmail.com

أستيجماتيزم في المُخ

Astigmatism in the Brain

حكايات ساخرة عن الأوضاع الطائفية في مصر

Ironic Tales of Sectarianism in Egypt

(إهداء)

أهدي هذه الصفحات إلى روح أبي (رحمه الله) أولًا، ثم إلى كل من أسهم في كتابتها في عقلي وتشكيل شخصي ثانيًا.. إلى كل من ألهمني سطرًا أو زرع في فكرًا.. إلى القلوب التي أبكيتها والقلوب التي أبكتني..

وأدين بالفضل لصديق الكفاح "مصطفى الصياد" صاحب الفكرة والجهود الأكبر في الكتاب الذى بين يديك.. حقًا "طلّعت عينه" في الثمانية أشهر التي كتبنا فيها الكتاب..شكرًا يا صيااااااد..

مينا شنودة

صعوبة الإهداء هنا أن الكلمات مهما تكلّفت أو تمادت في الوصف الحسن فإنها لاتسمن ولا تغني من جوع اذا ما تعلقت بحق هؤلاء البشر، أبي من علّمني أن أكون حرًّا ذو رأي وشخصية، أمّي التي أعتبرها كيانًا ومؤسسةً للضمير ومثالًا للحبّ بلا مصلحة، أصدقائي من تعلّمت منهم الاخلاص والمحبّة وهم من جعلوا لهذه الحياة الفقيرة معنىً، صديقي الأقرب "مينا شنودة" والذي أكرهه كرهًا شديدًا لأنني دائمًا وأبدًا ما أفكر في استحالة أن أحلُمَ حلمًا دون أن يشاركني فيه، أو أخطو خطوةً دون أن أشاركه الرأي والمشورة، كلّ من أراد لهذه البلاد السلم والأمان والحريّة والرخاء، كل من مدّ الينا يد العون لتخرج فكرتنا إلى النور..

مصطفى الصياد

المحتوى

تقديمة الاعلامية: رولا خرسا

الأستجماتيزم في العين يجعلك لا ترى الحروف بشكلها الصحيح.. ترى حروفا مختلطة وتشعر بالزغللة.. وهذا هو – على الأقل – الوصف الذي نسمعه ممن يعاني من الأستجماتيزم والذي قد لا يكون – من الناحية الطبية – دقيقًا، إلا أنّه يعبر عن الحالة التي يعيشها مجتمعنا اليوم.. حالة من الزغللة البصرية والزغللة الفكرية..

عندما قبلت إضافة (مصطفى الصياد) لقائمة أصدقاء (الفيسبوك) لم أكن أعلم أنني اليوم سأجلس لأكتب له رأيي في كتابه الذي أنجزه بصحبة صديقه (مينا شنودة).. والذي قبلت إضافته مؤخرًا أيضًا إلى أصدقاء (الفيسبوك).. و"قبلت" ليس فعلًا يدل على التعالي، بل هو ترجمة للكلمة الإنجليزية "accept".. منذ أيام أرسل لي (مصطفى) الكتاب طالبًا رأيي كتابةً فيه.. ولن أطيل بتفاصيل أكثر.. بدأت القراءة، ووجدتني أقول – على رأي الانجليز– "ييس" أو "هيييه".. أخيرًا امتلك أحد شجاعة فعلها: الحديث

بصراحة ودون حساسيات عن أوضاع المسيحيين والمسلمين في مصر.. أخيرًا يا ربّي بصوت عال وساخر ودمه خفيف وبوصف حقيقي ودون عقد.

ولمن لا يعلم.. فقد أمضيت طفولتي في مدرسة للراهبات. .تعلمت منهنّ أهمية احترام العمل والعمل بكدّ وأن تؤدي باجتهاد أي عمل مهما صغر، واحترام الأكبر, وكان يجب علينا كل يوم ثلاثاء – لا زلت أذكر حتى اليوم – دفـــع أي مبلغ صغير للفقراء.. ومع الوقت والحسبة البسيطة اكتشـــفت أنّ هـــذا مايطلبه منا ديننا: إتقان العمل واحترام قيمته واتقـــاء الله وأهميـــة الزكـــاة والصلاة ومراعاة الآخرين، وهذا بالضبط ما يمليه علينا الإســـلام فتعـــودت تلقائيا احترام كلّ الأديان والعقائد..

أمر آخر، عندما بدأت العمل وجدتهم يطلبون منّي كتابة اسمي ثلاثيـــا "رولا مصطفى خرسا"، بينما عشت أيام دراستي أكتـــب وأقـــول "رولا خرســـا" فحسب. في البداية لم أفكّر في الدافع وتعودت قول الاســـم ثلاثيـــا, إلى أن علمت السبب, كانوا يريدون إسداء خدمة لي تتمثل في أن أقول للعالم – أو بعبارة أدق – للأغلبية من المشاهدين أنني مسلمة.. والحقيقة أنني في حيـــاتي اليومية كنت قد تعودت عبارات من نوعية: "إيه دا! إنتِ بتصـــلّي؟ يعـــني مسلمة!".. ويعقبها زفرة ارتياح.. وكأنني بكوني مســـلمة ســـوف أحـــرر القدس! مع تفهمي طبعًا إلى كون الإنسان بطبعه يميل أكثر لمن يشـــبهه، وإن أحبّ شخص شخصًا آخر تمنّى أن تكون هناك أمور مشتركة بينـــهما.. في

البداية كنت أضحك ولكن مع الوقت ومع تأكيدات معارفي لكل من يسألهم بأني مسلمة للجد العاشر بدأت أشعر أن في مجتمعنا مشكلة. وأول طريقة للتصدي لها كانت – بعد الترحم على روح أبي – أن قررت العودة إلى الاسم الثنائي: رولا خرسا.. ومن يشاهدني أو يقرأ لي لشخصي وعملي فأهلًا وسهلًا، وإلا فالمشكلة عنده هو.. هذا من ناحية، وإن أخذنا الأمر بشكل كوميدي وهزلي فأنا هكذا محسوبة على الجانبين, كل يعتبرني تابعة له والأصح أني أتبع المجتمع بناسه وطوائفه المختلفة.. مجتمعنا الذي أصبح هشًا جدًا متمسكًا بقشور الدين وبالمظاهر المصاحبة له. مجتمع يعود بخطى حثيثة للوراء وينسى أن أهم مبادئ الحرية وأولها قبول الآخر وحرية العقيدة.

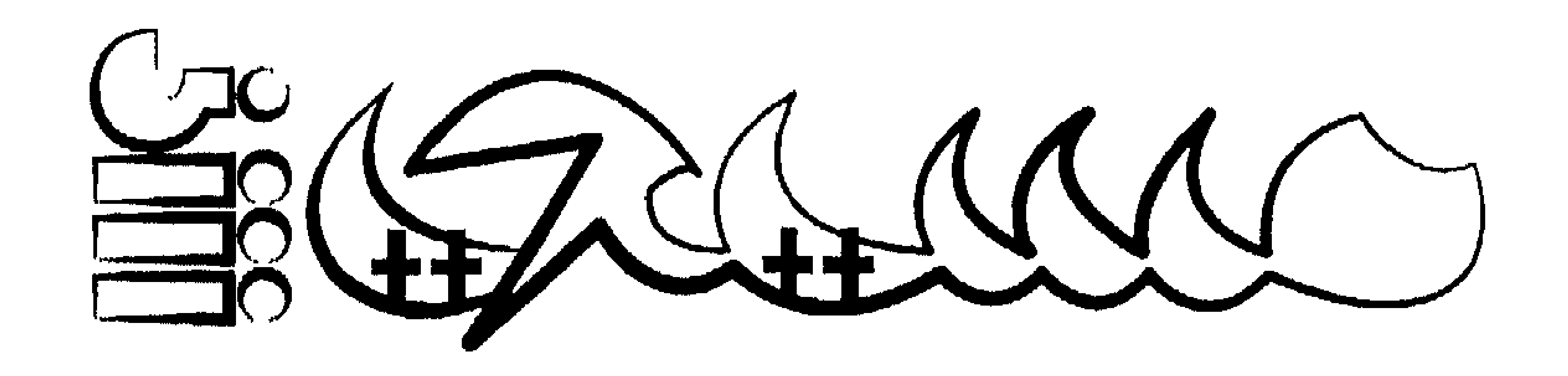
ختامًا.. أشكر (مصطفى) و(مينا) على إشراكي في هذه المغامرة المجتمعية الراقية. وتحيةً للناشر الجريء، وأتمنى أن يوفقكم الله (سبحانه وتعالى) رب أصحاب كل الأديان وكل العقائد ورب كل البشر، واللهم صلّي على الأنبياء جميعًا، واحفظ بلادنا من سوء ونار وحرائق تشتعل باسم أديان هي أسمى من أن تُحشر في الصغائر.. وكم من الجرائم ترتكب تحت اسم الدين!

رولا خرسا

أستيجماتيزم في المُخ

مشكلة ذلك المرض الغريب "أستيجماتيزم العين" تكمُن في حرف الجرّ "أو"، وهو حرف قمعي وديكتاتور شديد القسوة، فهو يفرض عليك نظامًا شموليًا، لا يترك لك فرصةً للأخذ بخيارات أخرى مغايرة، كما الشخص المتسلط الظالم الفارض لرأيه عنوةً إذا ما أخذنا بمثال الشبكة التي يعطيك فيها الحق فقط للاختيار ما بين أن ترى خطوط الطول "أو" خطوط العرض بوضوح!

تحول ذلك "الأستيجماتيزم" من كونه مشكلة إلى خطر حقيقي عندما تعدّى حدود البصر ليصل إلى البصيرة.. إلى جذور المُخ ورأس السلطة! (توضيح بسيط لا يمكن تركه للنهاية: المقصود بالسلطة هي سلطة المخ على أفكارك وتوجهاتك الشخصية ولا يُقصَد بها أية سلطةٍ أخرى لا سمَح ولا قدّر الله) وهو ما يحتاج ثورةً شاملةً لمقاومته وعلاجه قبل أن يُحكِم قبضته على براثن الحكم ويمسك بخيوطه، يكمُن الخوف من تلك الممارسات القمعية التي يمارسها داخل "المُخ" فيترع عنه البصيرة ليجعل أمامه طريقًا واحدًا للتفكير يرفض كلّ ما هو مختلف، يُترل الحكم بنظام شمولي يتعدّى حدود سلطته فيزُجُّ بنا جميعًا إلى أعماق جحيم مُستَعر، ينمو هذا المرض تدريجيًا وتزداد شدة خطورته مع الوقت.. والخوف الحقيقي من تحولهِ إلى وباءٍ لا علاج له يجرف في طريقه الأخضر واليابس، مالم ننهض جميعًا بثورة عقلية وفكرية مضادة للوقايةِ منه سريعًا باقتلاع جذوره، خيرا من العلاج بلا جدوى.



أسمك أيه ؟



أنا دائم الابتسام إلى من يحدثني.. الأمر الذي يجعله يبتسم تلقائيًا أيضًا.. فعندما أقابل أحدهم للمرة الأولى وبعد "إزيك وعامل إيه والكام سؤال دول" نتبادل المزاح وخلافه و"بيبقى كله تمام".. إلى أن نصل إلى نقطة التعرف على الأسماء.. فأعرف أنّ اسمه "أحمد" ويعرف هو أن اسمي "شِنو", يتعجّب كثيرًا ويسأل عن الاسم الحقيقي – هذا من حقه طبعًا – وهنا عندما يعرف أن اسمي الحقيقي "مينا" – صدقوني تكررت مرارًا – تخفُت ابتسامتهُ و"بقُه اللي كان شِبرين" يتقلص، وتصبح نظراته غريبة غير مفهومة.. هي مزيجٌ من الاستنكار ونظرة "يبقى إنت اللي قتلت بابايا".. نكملِ الحديث أنا وهو، وفي كثير من الأوقات تعود الابتسامة، وربما ينتهي بنا الأمر إلى أن نكون أعزَّ أصدقاء في أحيانٍ كثيرة.. وأحيانًا أخرى "بيوحشني أحمد قوي!"..

أعرف كثيرًا من أصدقائي المسيحين يفعلون الشيء ذاته مع مسلمين، وتكون المفارقة عندما يحمل أحدهم اسمًا يجوز أن يكون مسلمًا أو مسيحيًا مثل عادل.. وهنا يأتي السؤال "اللي بعتبره بجد سؤال كوميدي".. اسمك عادل إيه؟.. ولو اسمه عادل حلمي.. يبقى اسمك عادل حلمي إيه؟"..
سؤالى أنا البسيط: "ليه؟".. لماذا أصبح يتوجب علينا أن نظهر دياناتنا.. لماذا أيضًا تمتعض إذا كان محدثك أو زميلك ليس من دينك نفسه؟.. لماذا احتلّ الصليب وآيه الكرسي رقاب كثير من إناث الشعب – لست ضدّ فكرة ارتداء

رموز دينية – لكني ضدَّ المبالغة في هذا الأمر.. فهناك مِن المسيحيات مَن تضعن صور القدسين على كل أشيائهم لدرجةٍ تُشعرك أنّك أمام كنيسةٍ لا إنسانة, ولماذا اختزلنا كل الأسماء إلى (محمد) و(مينا) و(محمود) و(مايكل)؟!

كان شعار البلد بعد ثورة 1919م "الدين لله والوطن للجميع!"، وللأسف مع تعاقب الأزمنة "مابقاش الدين لله ولا الوطن للجميع!".. بالتدريج عندما لم يصبح الوطن بكل امتيازاته وخدماته في متناول الجميع، أصبح الدين أو الدم هو ما يحدد "الاستيتس بتاعتك" معي في الوطن إما available أوaway أو !appear offline

تدريجيًا أصبح المسيحي والمسيحية away عن شوارع وأحياء بلدهم فتكتّلوا في أماكن محددة هي بمثابة وطنٍ حقيقي لهم مثل حي شبراَ "وشارع دُقّة" في جامعة القاهرة والكثير من المحافظات والمراكز المعروف عنها أنها تجمُّعات للمسيحيين.. خارج تلك المناطق يكون الفرد المسيحي في وضعية الطيران الآلي داخل فقاعته المضاده للصوت والإحساس – وإن أمكن الرصاص! – خوفًا من الجماعات "اللي ماتتسمّاش", فهو لا يتكلم كثيرًا ولا يتعامل كثيرًا ولا يشعر كثيرًا ولا أحد يشعر به كثيرًا أيضًا إلى أن يصل إلى إحدى تلك التجمعات حيث تنفرج أساريره عن ابتسامةِ "تائه عطشان لقى قلّة ميّة ساقعة" في وسط الصحراء, فيتسلم دفّته وأشرعته ويصبح ما يريد أن يصبحه.

تلك الكُتل المسيحية موجودة في كل مكان.. في مدرستك, جامعتك, شارعك وربما مكان عملك.. من السهل جدًا التعرف عليها حتى من بعد.. فيكفيك أن تنظر إلى أي تجمّع مسيحي لتعرف أنهم مسيحيين، وأنا في الواقع أجهل تمامًا ما

السّر في ظهورهم وتميزهم.. أهو شَعر الفتيات المسدول، أم طريقته في التعامل أوالتصرّف؟! أم - كما يقول البعض - "الزيت بيبان ع الواحد"!.. لا أعلم!

المهم، دائمًا ما يتجمّع المسيحيون في كتلة واحدة منفصلة تتسم بالعزلة عن بقيّة ما حولها، والأدهى أنّ تلك الكتل في عناء سعيٍ دائم لجذب أعضاء جدد إليها؛ حتى تكبر وتزدهر وتبدد ذلك الشعور السخيف بالوحدة..

عند ظهور أي فرد مسيحي جديد في مجال استشعار وتواجد الكتلة، تسعى إليه بقية المجموعة لتحتضنه سريعًا وتحميه من فخاخ الصيادين، وربما تجنيده ليصبح فرد كتلة مبتدئًا..

أتذكّر في أول يوم لي في الكلية - وشعور التعجّب وعدم الاستيعاب يغلّفني ويغلّف كل ما حولي ومن حولي - وأتذكّر ذلك المنظر للطلبة الجدد "وهمّا لابسين اللي على الحبل كلّه"، والبنات بعد زيارات "الكوافير" "لتظبيط" الشعر أينما كان "والذي منُّه"، والكتلة واقفة..

حتى من بعيد، عرفتهم من أول وهلة.. مررت بجانبهم في هدوءٍ ناظرًا إلى جمال السقف متقمصًا دور الأجنبي الهندي.. لكن في آخر اليوم اتجه نحوي فردُ كتلةٍ موجه!.. لا أعلم لماذا تذكّرتُ لحظتها مشهد "آش" وهو يقذف بكرة "البوكيمون" على الوحش! المهم.. أتى نحوي معرفًا نفسه ودعاني إلى اجتماع الأسرة.. وهنا يوجد شرحٌ واجب..

نعم للمسيحين في كل كليةٍ أينما كانت ومهما كان نوع الجامعة "خاصة أو حكومية" أسرةَ مثل بقية الأسر في الجامعة، لهم اجتماعاتهم، يقومون برحلاتهم الترفيهية مثل بقية الأسر "عادي خالص".. الفرق الوحيد أنها مقصورة على المسيحيين فقط وتعمل في شكل شبه سرّي، لأنك "أكيد عمرك ما سمعت عن

أسرة سمعان الخرّاز مثلًا؟!".. أو عن الرحلات خاصّتها.. وتلك الأسر لا يوجد لها أي نشاط يفيد الجامعة بتاتًا - أو هذا على حد علمي وعلم كل من أعرفه - "ودول مش قليلين يعنى!"..

في الغالب يكون حجر أساس ووحدة قياس تلك الأسر "الفرد الكتلة".. هذا "الفرد الكتلة" لا يصادق إلا المسيحيين, قد تكون له علاقات مع مسلمين وقد تكون قوية أيضًا لكنّها لا ترقى أبدًا إلى درجة "الأنتمة" إلا مع المسيحي مثله "ويا سلام لو كان فرد كتلة برضه".. والشيء الأكيد والبديهي أن الكتلة — بوصفها كتلة - لا تتعامل مع مسلمين بشكل مقرَّب - هذا إن فكّر أحد المسلمين الاقتراب أصلًا -.. الفرد الكتلة يرى أن أخاه في المعمودية — كما يقول بعض المسيحيون - هو الكائن الحي الوحيد الذي يستحق أن يُدعى "أخًا". وهو الفرد الوحيد الحاصل على امتياز "صاحبي وحبيبي وكفاءة"[1]... اللطيف أنه - على حدِّ علمي - كان المسيح يجلس مع العشّارين والخطاة ليعلّمهم، وقال أيضا: " **أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ. وَصَلُّوا لأَجْلِ الّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ**"، فما بالك بمن هو ليس بعشّارٍ ولا أبغض إليك؟ ألا يستحقُّ منك أفضل معاملة وتقدير؟!

فيا عزيزي، أتعتقد بأنّ الله لم يستطع أن يجعل الناس جميعًا يؤمنون بدينٍ واحد؟.. بل — الأنقح - هل كان من الصعب على الله أن يوحِّد طوائف كل دين على الأقل؟ بالتأكيد كان يستطيع، لكن - كما أزعم - جعل الله في

[1] تقال حته واحدة على بعضيها كده، ونحب نشكر السيد اللمبي على إثرائه للغة العربية.

قلوب عباده أشياء كثيرة تؤلف بينهم غير الدين. من الأصل قصد الدين بعيد تمامًا عن التفرقة بين الناس.. أما أن يصبح سببًا للتفرقة بين الناس!..

من أين المشكلة!!

"الوطن" من تلك الأشياء التي تجْمع الناس, تلك الحارة التي نشأت فيها, ذلك الشارع الذي لعبت فيه الكرة, هذه المساحة الغامضة في قلبك التي تنبض بإحساس الوطن بدون معنى واضح ولا تفسير..

أعتقد أنه لابد لنا أن نبدأ بترك الدين للديان وبدلًا من البحث عن الفوارق التي تضعفنا فلنبحث عن مساحة الحياة المشتركة بيننا لتقوّينا، وإن قوينا هكذا.. فسنقوى معًا!.. وإن هلكنا بوضعنا الحالي - وهو احتمال كبير - فبالتأكيد سنهلك معًا..

لقد خلق الله البشر, بشرًا فحسب، فليكن تعاملك معهم على هذا الأساس فحسب!



مصر هي أمي مش دين أمي



لم يغفل جفنه لحظة طوال ليلة الأمس بانتظار ميعاد المقابلة الشخصية على وظيفة "مراقب الجودة الغذائية" في سلسلة مطاعم معروفة لدى أهل القاهرة، بعدما تعدى سن الثلاثين وقد أمضى سبع سنوات عجاف قاسى فيها مرارة البطالة لسنتين ثم السفر "للمرمطة" بإحدى الدول الخليجية إلى أن اضطرته الأقدار للرجوع مرةً أخرى إلى أرض الوطن مجبرًا لظروف مرض والدته.. من يومها وهو في رحلة بحث جديدةٍ يائسةٍ عن عمل، فتارةً يعمل "صبي قهوة" وأغلب الوقت سمسارًا للشقق والأراضي.

قضى ليلته ما بين المرآة يحاول استعراض مهاراته التي كان قد استنفد وقتًا كبيرًا في تعلمها فترة دراسته في الكلية عن "مهارات اجتياز المقابلة الشخصية" وما بين الكتب و"الملازم" يحاول التقاط العناوين تحسبًا لما قد يواجهه من اختبارات أثناء المقابلة.

مرّ الوقت في ليلته سريعًا جدًا.. تزداد سرعة نبضات قلبه كلما توالت على أذنيه أصوات دقات الساعة القديمة.. أتى وقت الفجر فنزل لأول مرة منذ فترة طويلة ليصلي لله ويدعوه في بيته، راجيًا الله أن ييسر أموره وأن يمنّ عليه بالوظيفة.. متوسلًا إلى الله أن يتقبل صلواته ودعائه ويحقق له مقصده رحمةً بوالدته المريضة ومستقبله اللامعلوم..

خفف الدعاء من قلقه واطمئنت روحه إلى رحمة الله وشعر بحتمية شفقة الأقدار عليه.. قست عليه كثيرًا.. فلا بد أن مع العسر يسرا.

انطلق مبكرًا جدًا – قبل الميعاد بساعتين – قاصدًا مكان المقابلة.. ظنّ أنه سيكون وحيدًا لذهابه في هذه الساعة المبكرة، ليفاجأ بأن المكتب مليء بأمثاله

من طالبي العمل في هذا المكان.. سجّل اسمه في ترتيب الحضور مسلّمًا أمـــره لله ثمّ الحاج "لطفي" ليأتي باسمه معلنًا عن دوره في الدخول.

لحظات مملة، عصيبة، مليئة بالقلق والتوتّر، تلك التي صاحبت ساعات الانتظار.. وتوقُّع ما سوف يحدث خلف ذلك الباب البني الداكن محكم الغلق الذي يقف عليه حارسًا الحاج "لطفي".. تخيلات لسيناريوهات المصير الذي سيؤول إليه إذا ما تم القبول أو الرفض.

كاد القلق والتوتر أن يذهبا بعقله، فأخذ يبحث عن أية وسيلة لاستهلاك الوقت المتبقي قبل المقابلة، فاستدلّ بعينه وقلبه إلى أقلّ الحاضرين توترًا ليبادله الحـــديث سعيًا للهرب من هذه اللحظات اللعينة!

امتدت يداه مصافحًا ذلك الشخص.. مبادرًا بتعريف نفسه:

- كريم محمد.. خريج علوم، قسم حشرات.. مش فاكر دفعة سنة كام بـــس الحكاية دي حصلت من سبع سنين.. وجاي علشان أقدم مراقب جودة.

بادره أيضًا بإيضاح سبب الحديث وهذا التطفل في هذا الوقت غير المناسب:

- شفتك قاعد قلقان فقلت نتكلم في أي موضوع نخرج بيه من الجو ده.

لم يكن حال هذا الشخص متقبلًا لهذا النوع من التطفل، و لم يكن الوقت فعلًـــا بالمناسب "للرغي" أو الدخول في جدال ومهاترات حول أية أمور تافهة.. لكنه استجاب له من باب الذوق والأمر الواقع:

- (مرقص حنّا).. خريج علوم من 3 سنين بس علشان الجيش.. جاي أقدم برضه مراقب جودة.

- يااااااه! إنت عارف.. اسم (حنّا) ده بيفكرني بأيام ماتتنسيش!

- يارب تكون أيام سعيدة ويكون وشه حلو عليك النهاردة.

- أنا هقولك إيه حكاية (حنّا).. بص يا سيدي..

لم يطلب (مرقص) حكاية (حنّا)، و لم يمتلك الوقت الكافي ليمارس حقه في إبداء رأيه بالقبول أو الرفض!

- بعد ما اتخرجت من الكلية خدت إعفا من الجيش لأني كنت العائل الوحيد لأمي، قعدت سنتين ألفّ مصر كعب داير أدور على أي شغلانة بالشهادة أو بغير الشهادة، بس كرامة الواحد ساعتها كانت "ناقحة" عليه شوية، فكنت بادوّر على حاجة لو بعيد عن الكلية تكون على الأقل بمقام واحد اتسحل في كلية بنت هرمة خمس سنين ومعاه "بكالوريا".. للأسف الشغل كتير بس الواسطة أكتر ودايمًا بتغلب.. تخيل، زهقت وقررت أشتغل سواق على "تاكسي" بتاع جارنا، ولما رحت أطلّع الرخصة لقيت إن حتّى دي لازم يا رشوة يا واسطة.. ولا الواسطة موجودة ولا الرشوة موجودة.. يومها بس خدت قرار إني أهج من البلد دي.. لسّة الانتخابات خلصانة والحزب هوّ هوّ اللي ماسك، والحكومة هيّ هيّ، وقلت مش راجع إلا لما الظروف تتغير... هاستنى 2010.. فضلت الحكومة زي ما هيّ وفضلت الانتخابات زي ما هيّ.. عليّ الطلاق من اللي ما اتجوزتهاش ما أنا راجع!

- يا عم أنا لسة خارج م الجيش والحياة لسة قدامي، وإنت سوّدتها في وشي!

- المهم يا سيدي، واحد ابن حلال دلّني على كفيل كويتي عمل لي "فيزا" سلف بحوالي اتنين وعشرين ألف جنيه أشتغل بيها في مصنع مبيدات حشرية هنـــاك، ورحت، وربنا سهل لي الحال، وبدأت أشتغل والبلية لعبت.. وكل شهر باسدد جزء من "الفيزا" وأبعت جزء للحاجة تصرّف بيه أمورها لحد ما ربنـــا يســـهل وأسدد اللي عليّ.. هناك بقى ياسيدي كان قاعد معايا في نفس السكن صاحبي (حنّا).. كان حد جدع أوي وكان بينّا أيام ما تتنسيش.. تقريبًا كان أقرب حد ليا في السنتين اللي اشتغلتهم هناك..

- عارف؟.. حكاية موائد الرحمن بتاعة شيخ الأزهر والبابا شنودة، وتهنئـــة عيد الميلاد أو عيد المسلمين مابقتش تاكل مع الناس.. أي حاجة داخلة فيها الحكومة ما بتتصدقش وبتتفهم على طول إنها نفاق!.. اللي بتعمله انت وحنّا ده المفروض الناس كلها تعرفها ويعرفوا فعلًا إن الكلام اللي بيتقال عن كره المسيحي والمسلم لبعض والهبل ده كلام فاضي.

- معاك حق.. بس عارف؟ لو حد غيري كان عايش مع البني آدم اللي اسمـــه (حنّا) ده!! كانوا طلّعوا في دين بعض! هاهاهاها!

- ليه بتقول كده يا عم كريم؟!

– يا عم (مرقص) ده كان عليه شخير وهوّ نايم!! أوسخ من صوت شـــكمان العربية "الهامر" اللي مالية الشوارع هناك! ده غير إني تقريبًا صايم طول السنة عن اللحمة معاه.: بيني وبينك مصلحة.. أهو كلّه توفير! هاهاهاهاها!

بس مين! كان يصوم معايا رمضان م الفجر للمغرب، وكان هوّ اللي يصحيني للسحور لأنه يا عيني ما بيصدق ياكل وبيفضل يشحن لآخر لحظة قبـــل الأدان عشان وقت الصيام يقل! هاهاهاها!

– *(ابتسامة بلهاء).*

لم يسمع الجزء الأخير من الحديث لكنه علم بنهايته، خلايا عقله بالكامل كانت ترسم سيناريوهات للمقابلة، وقلق شديد من توقع ما سيحدث.. يحاول بقـــدر الإمكان أن يختلق ملامح توحي بالإنصات والاهتمام!

– بعد ما الأمور استقرت ولقيت الشغل ولقيت الصاحب اللي يهـــون الغربـــة وسددت أكتر من نص المبلغ اللي دفعته في "الفيزا"، جالي الخبر اللي رجعني تاني لتحت الصفر.. ياريته حتّى رجعني للصفر يا أخي!

– إيه اللي ممكن يعمل كده يا عم كريم؟ ما الدنيا ماشية وتمام!

– جالي تليفون إن الحاجّة تعبانة – وهيّ مالهاش غيري – كان لازم أنزل مصر وأكون جنبها.. وماقدرش أنزل إلا لما أسدد "الفيزا" .. كان فاضل فيها تمـــان تلاف جنيه! عارف اتصرفت فيهم إزاي؟!

- *ازاي؟!*

- حنّا هوّ اللي دفعهم!.. بس استنّى! أنا حلّفته إنهم سلف وإن لما ربنا يكــرم بعد كده هادّيهم له! وكمان هوّ كان شايل لي حوار جدعنة كده كنت عملته معاه لما وقفت جنبه في مشكلة في المصنع مع واحد كويتي كان هايتقطع عيشه بسببها.. الحق كان معاه، وربنا سخرني في طريقه علشان حقّــه مايضــيعش.. وأهي الدنيا مشيت معانا سلف ودين.

- *ممممممممم..*

- بس تفتكر هايكون لينا أي دور في المكان ده وكل الحتت اللي أكتر من نص رجليها باين دي داخلة تقدّم؟! بصراحة لو أنا مكان اللي بيختار مش هــابص لحيوان زيي، وهاعيّن أول واحدة تدخل، ومــش بعيــد أخــدهم كلــهم! هاهاهاها..!

- (مرقص حنّاااااا)..

- *ايوووووووووة..*

جاء نداء الحاج لطفي لــ (مرقص) ليكون الخلاص الأمين له من ذلك الحديث الذي ربما كان ليصبح شيقًا، لكن في وقت آخر!

كلمات قليلة همس بها الحاج (لطفي) في أذن (مرقص)، ليلتف جسد (مرقص) حول نفسه مظهرًا وجهًا يختلف عن ذلك الذي ذهب به، وجها جديد يملـؤه خليط من الغضب والإحباط ليغادر المكتب بسرعةٍ شديدة متجاهلًا نـداءاتي المتتالية ونظرات الاستغراب من الجالسين!.. أيقنت أن السبب هـي تلـك الكلمات من الحاج (لطفي) لـ(مرقص).. قفزت بخطوة واحدة طويلة حـتى وطأت موضع قدم الحاج (لطفي) لأسأله عمّا حدث!

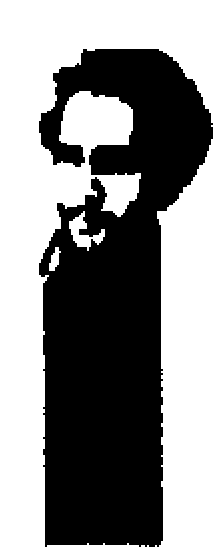
حاول الحاج (لطفي) الوصول إلى أذني، لكنّي كنت أبتعد خشيةَ تلقّي مصـير (مرقص).. لكنه أصرّ و لم أجد وسيلة للهروب في تلك المساحة الضيقة والوقت المحدود حتى جاءت الكلمات هامسةً في أذني:

- لو عايز تشتغل هنا يا بيه لازم تصلي الفجر حاضر قبل ما تيجـي لمعـادك الصبح.

- يا حاج (لطفي).

- (عفاف راضي) لما غنّتها قالت **"مصر هيّ أمي" مش "دين امَي"!**

الطامة الكبرى



في يومي الأول في المدرسة (سنة ثانية إعدادي) - فقد كانت سنواتي السابقة خارج حدود المحروسة في بلد الحرمين الشريفين - وجدت كل ما حولي غريبا جدًا! فلم أعتد الجلوس على منضدة خشبية تلعب معي دائمًا "الدنيئة" بقطع طولي في البنطلون أو دائري - إن ساندني الحظ -، والغريب أن القطع دائمًا كان من جهةٍ واحدة، ولكن زال سبب الاستغراب عندما وجدت أن نصفي الآخر كان خارج "الدكة"؛ لأني كنت قاعدا على الحرف.. وتلك "الأبلة" ذات الوجه الذي ارتسمت فيه ملامح أنوثةٍ اغتالتها صراعات الشد والجذب مع شياطين الإنس ممن يسمون طلاب فصل "ثانية سادس".. تلك "الحمامات" الغريبة التي يتسع بها قطر "الكبانيه" ليشمل مساحتها المربعة بالكامل فتكون مضطرًا - فأنت مصير ولست مخيرا - في تلبية نداء الطبيعة لكي لا تعود إلى منزلك وقد غرقت في "البي بي" أن تتعامل مع هذا الأمر الواقع، فباب "الحمام" هو ذاته باب "الكبانيه"، وآخر سنتيميتر يمكنك الوقوف فيه لكي تلبي نداء طبيعتك هو عتبة الباب، وإلا أصبحت جزءًا مما في هذا "الكبانيه"!

عند العودة من "الحمامات" بعد تلبية نداء طبيعتك إلى الفصل غير الدراسي تجد شيئًا آخر منافيا للطبيعة البشرية، عندما تسمع صوتًا داخل الفصل يشبه ذاك الذي تسمعه في أفلام العصر الفضي للسينما ورائده (عادل أدهم) يهددك

بالرحيل إلى ما وراء الشمس إذا نما إلى علمهم أنك "بتاخد درس خصوصي عند مدرس تاني لا قدّر الله"!!

في السطر السابق علامات تعجب ليس لها مبرر على الإطلاق؛ فهذا الوصف ليس دقيقًا ولا حويطًا بما يكفي، هناك ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر سوى من أتيحت له الفرصة بالمرور على إمبراطورية فساد العقل والفطرة البشرية المسماة بـ "المدرسة" فكتابة هذا الوصف هنا كافية جدًا للحكم على شخص مثلي بانعدام "الربابة" وقلة الأدب و"عايز قطع اللسان من لغاليغه"..

سيدي الفاضل.. حصل لي القرف أن أوجه لسيادتك الدعوة لأن تطلق عنان خيالك إلى كل ما هو قاصٍ، ولتتأكد أنه صحيح وربما أكثر بكثير، وستعرف سر اللوحة الشهيرة " مدرستي نظيفة جميلة متطورة".

كان من عجائب الدنيا الثمانية بالنسبة لي تلك الفتيات "قليلات منهن فاتنات" في مجموعة التقوية بمسجد التوحيد، فلم تعهد عيني رؤية من هم في غير جنسي في مثل هذه المعتركات الفكرية والتعليمية، فقد كان جميع من حولي يحملون في البطاقة الشخصية – اللي ما كانتش لسة طلعت – صفة "ذكر"، ولم تصل خيالاتي أبدًا إلى أن تجلس بجواري (رانيا) أو (راندا) أو (إسراء) أو من شابههن لنتلقى العلم سويًا.. وكلٌ يتلقى العلم على هواه وعلى حسب تعريف وماهيَة العلم عنده!

اتسم أول أيامي في عهدي الجديد بالخجل الشديد وقوام أصبح يشبه علامة التعجب ذي النقطة في الأسفل من هول ما أحاط بي في كل ما حولي.. لم أجد شيئًا واحدًا يشبه العالم الذي قد عشت فيه لسنوات لم أكن أدري بعد هل كانت سمانا أم عجافا! كل شيء تغير.. لم أستطع في بادئ الأمر التكيف مع هذا الواقع الذي دفعني إلى التقوقع والصمت الدائم واتخاذ برج مراقبة عالٍ لمحاولة اكتشاف وترقب أحداثٍ جديدة، أصبحت - راضيًا أم لم أرض - مشاركًا فيها ومتحملًا لنتائجها.

في وسط كل هذا العراك يجلس بجواري كائن مثلي يحمل رأسًا ويدين وقدمين، لكن شيطانه كان هادئًا إلى حد ما - إذا ما قورن بقاطني "الدكك الأخرى" - فقد ساعدني بهدوءه على المحافظة على الوضع الساكن المتعجب المراقب الذي ارتضيته للتعامل مؤقتًا مع هذا الواقع.. كنت قد سئمت من "الدكة الخشبية" لأنها اعتادت أن تفعل معي "الدنيئة" دائمًا، لدرجة أنها لم تعد خشبية، بل أصبحت الوحيدة الخشبية المزركشة بقطع من القماش الأزرق المأخوذ عنوةً من "البنطلون" المتجدد بصفة شبه أسبوعية، لأني لم أكن بعد قد اكتسبت مهارة التعامل مع هذا النوع من الأعداء الجدد.. فقط قليل من الوقت!
لم أجرؤ على تغيير هذه الدكة اللعينة، فقد حمّلت أقل الشياطين ضراوةً بجانبي.. حاولت كسر هذه العزلة وكسر أجزاء من القوقعة والنزول من على درجات البرج العالي تدريجيًا.. كل هذا "في نفس ذاتِ الوقت" لأني كنت على يقينٍ بأن هذا الوضع المؤقت لا بد له من زوال.. فلماذا لا أُعجِل بالوضعِ الدائم!

أخذَت عجلة الزمن في الدوران بشكل متسارع محطمة معها كل الفرضيات والوقائع المؤقتة، والنسبية دائمًا، فبدأت جدران القوقعة في التكسر وأصبحتُ أكثر خبرةً في التعامل مع جميع الأعداء "وبخاصة الدكة اللعينة", وأخذ الفارق بيني وبين زميلي بالجوار يقل تدريجيًا إلى أن اتسعت الدكة لتشمل محيط البنطلون بالكامل.. واقتربت بيننا المسافات الروحية أيضًا لتقترب علاقة الصداقة بعد الزمالة غير المُخيّرة!! فقد كانت كبقية الأحداث مضيّرةً..

لعبت الأقدار في صالحي هذه المرة.. كل يوم أكتشف مميزات جديدة في هذا الزميل بعد زوال غيمةِ الحكم على الكل بما فعل الجزء الكبير والنسبة الأعظم، فتجرأ لساني على طلب الأستيكة في إحدى المرات، وتجرأ هو على أخذ "الكوريكتور" الذي أمتلكه بدون استئذان.. لكنها كانت لحظةً سعيدة بالنسبة لي، فقد أحسست بزوال الفارق تدريجيًا وعددته — داخليًا - في هذه اللحظة صديقي الوحيد.. لم أصرح له بعد بما أحس تجاهه! لكنني اكتفيت بهذا الشعور الذي أضاف لي شحنةً ايجابيةً أعطتني أملًا في امكانية وجود حياةٍ على هذا السطح الجديد!

كان لدى والدي قناعةٌ بأن مجموعات تقوية مسجد التوحيد الأفضل على الإطلاق؛ فشيخ هذا المسجد رجل صالح والقائمين على الجمعية رجال صالحون، فلم ولن يتسلل بداخله شكٌ بفساد النية داخل هذه المنظومة، وكان

على يقين بأن هذا هو المكان المناسب.. كان والدي ماهرًا جـــدًا في توصـــيل أحاسيسه لتصل إلى أعماقي فتكون بالمثل!

وجدت مبررًا لدى صديقي الجديد في رفضه الدائم الذهاب معي إلى مجموعات مسجد التوحيد؛ فقد علمت فيما بعد أن أولاد الذوات لا يـــذهبون إلى هــــذه الأماكن الفقيرة، وبالتالي حكمت عليه بأنه من أولاد الـــذوات، لكنــــه كــــان بالنسبة لي متواضعًا في مظهره ولا يحب التحدث عن نفسه وثراء أهله، وهـــذا أضاف لي مزيدًا من الإعجاب بهذا الشخص.. كانت أسوأ لحظاتي تلك الـــتي كانت في مسجد التوحيد لتلقي العلم البديل عن العلم الناقص في الفصل اللعين؛ لأنها كانت تفتقر إلى وجود توأم روحي الجديد، فهو أملي الوحيـــد وســـندي الدائم للتخلص من المؤقت والانتقال إلى الوضع الدائم.

استمرت الحياة روتينيةً كما هيَ، ونداء دائم في الأعماق يطالبني بضـــرورة أن أصارح هذا الصديق - من طرف واحد - لكي تكتمل المعادلة ويـــزداد قلـــبي طمأنينة.. مازالت عقدة الخجل التي كانت تقل تدريجيًا و لم تكن لتصل بعد إلى مرحلة المصارحة، لكن الحال أصبح أفضل من ذي قبل.. لم أستطع الرفض خوفًا من زوال نعمة الرضا التي أنعم الله بها علي في هذا الوقت.. فقط قليـــل مـــن الوقت!

قليل من الوقت مع قليل آخر من الوقت.. أخذ الزمن في المضي قدمًا ولكن هذه المرة بتغيرات أكبر؛ فالحواجز بداخلي تتساقط تدريجيًا واقتربتُ من المصـــارحةِ

التامة.. وما كدت أن أصل.. حتى أبت الأقدار لي أن أخرج من هذا الصـــراع إلى عالم هادئ!

فقد جاءت الطامة الكبرى!!

- (جورج عاااااااااااادل)..
- "أفندم"!

كانت هذه الكلمات تتطاير في الأثير من (عادل أدهم).. عفوًا من "الأستاذ" إلى زميلي بالجوار للتأكد من حضوره!

- (جورج)!!

كانت هذه أشد العجائب وأقوى الصدمات بالنسبة لي! ولكنها كانت عجيبـــة متحدةً مع صدمةٍ لا توصف، فقد دُمرت معها أحلام عديدة.. و لم تكن أحلامًا عادية؛ فقد كانت مرتبطة بمصيرٍ دائم بالنسبة لي في ذلك الوقت!
كنت شديد الإيمان؛ لذلك لم يتعدَّ تأثير الصدمة ثلاثة أيام لتعود الحياة طبيعيـــةً، لكني حمدت الله أن الهمني الصبر و لم أصارح هذا المدعو (جورج) بالحقيقة التي أحسستها في ذلك الوقت، واستعذت بالله من هذا الشيطان الذي كاد يوقع بي في خطيئة لا أدري ما هو المدى الذي سأبعده بسببها في أعماق نار جهنم يـــوم الحساب!

اتخذت قرارًا فوريًا بعد العودة من الصدمة بالهجرة وترك "الدكة" اللعينة، فقد تحولت جميع الذكريات بها إلى كوابيس، ولم أكن قد انتبهت إلى الانذار المتكرر من الرب بقطع البنطلون، فقد تأكدت أنها ليست محض صدفةٍ، وأن الدكةَ ليست عدوا، لكنهُ كان إنذارًا شديدَ اللهجةِ، وأنا من كنتُ مغيبًا!



تواشيح فيروز وترانيم النقشبندي



يجلس دائمًا مطرقًا، وحده أو حتى وسط أصدقائه.. يشعل سيجارته، ينفخ الدخان ببطء فيتمايل في الهواء على اللحن الهادئ المملوء بالحنين، يفكر في كل ما حدث.. يشرد كثيرًا إلى أن يقطع شروده.. صمت..

اليوم الأول في تدريب الكورال في الأوبرا لم يختلف كثيرًا عن اليوم الأول في معهد "الكونسرفتوار".. الشعور الغريب الملح نفسه بإثبات النفس عند البعض.. الشعور القاسي نفسه بالانطواء والاختفاء عن الأنظار عند البعض الآخر..

أما هو، فمتقلب بين الظهور والاختفاء، الضحك بصوت مسموع مع الزملاء والإطراق في صمت وعدم درايةٍ أو بلا مبالاة.. في النهاية كان له بريقه الخاص الذي يثق فيه دومًا.. يتذكّر ذلك اليوم في بداية السنة الدراسية وأول حصّة تدريب في كورال الأوبرا.. لم تتغير عاداته عند دخول الأوساط الجديدة؛ فقد حضّر ابتسامته المكسورة واطمئن على نظافة أسنانه المنتظمة وتأكد من استواء شعره..

دخل قاعة التدريب في هدوء وتردد.. مرّ الوقت.. انتهت حصّة التدريب، وبدأ الصخب المعتاد..
أمّا هو، تحرّك في هدوء ليجلس وحيدًا على الدكّة الخشبية في الركن البعيد المتواري في حديقة الأوبرا.. أخرج كشكول الملاحظات ليُراجع النوتة الموسيقية محاولًا تطبيق درس اليوم..

مرّت أمامه.. جلست على الدكّة الخشبية المقابلة له.. أغلقت هاتفها المحمول بعد جملة "ما تتأخرش يا عمّ (محمد)".. في تلك اللحظات القليلة ما بين إغلاقها للهاتف ووصول عمّ (محمد) ترك الكشكول قليلًا، ركّز نظره ليتمكّن من تأمّل ملامح ذلك الصوت الرقيق.. قد رآها في المعهد وها هو يراها ثانيةً في تدريب الكورال!

سمراء البشرة مثله تمامًا، شعرها أسود مثله تمامًا!.. عيناها عسليتان دافئتان كقدحين من القهوة يسبحان دوما في سماء أفكارها.. متقلبة بين الظهور والاختفاء بين الضحك بصوت مسموع مع الزملاء والإطراق في صمتٍ وعدم دراية أو بلا مبالاة.. لكنها – في النهاية – كان لها بريقها الخاص الذي تتق فيه أحيانًا.. عشقها هو في حصّة الكورال الثانية والثالثة والرابعة!!.. كانا سويًا في فصل المعهد ومجموعة الكورال.. أهي الصدفة؟!.. أهو القدر يلفُّ خيوط مصائرنا ويجدلها معًا؟!

ظل كعادته عندما يعجب بإحداهنّ يراقبها أولًا.. يتوه في تفاصيلها.. ينسى نفسه تمامًا! يفقدها في ملامحها ويجدها مجددًا في عينيها حينما تلاقيان عينيه.. يتكلّم معها كلماته الأولى بحذر شديد "أنا باشوفك كتير فى جنينة الأوبرا, هو انتي اسمك إيه؟" تبتسم.. ثمّ تخبره باسمها، فيخرج مثل "المزيكا" الغربية سريعًا خفيفًا مثيرًا إلى حدٍ كبير.. "وانت كمان باشوفك كتير هناك, اسمك إيه؟".. لا يصدّق هذه الاستجابة اللطيفة والسريعة.. يقول اسمه فتلبس ابتسامتها اختلاجة غريبة.. تعتذر فجأةً لأنها يجب أن ترحل.. ترحل فعلًا..

ينظر إلى السماء شاكرًا الرب لمساندته له وإلقاء كل هذا الجمال في طريقه.. يمشي وحده يحلم بالأيام السعيدة التي ستكون بينهما ويتمنّى ويتخيّل ويسرح ثم يفيق على الاختلاجة الغريبة لشفتيها..

مرّت الأيام والحصص, والمواقف والأحداث بينهما.. أحبّها فعلًا، فأحبت حبه لها.. اهتمّ لأمرها، فأخفت مكانًا له في قلبها.. نام يحلم بها، فابتسمت منصتةً له وهو يروي أحلامه.. أسمعها ترانيمه المفضلة (لفيروز)، فأسمعته تواشيحها المفضلة (للشيخ النقشبندي)...تكوّن بينهما ذلك الكائن الهش المخنوق غير المكشوف عنه المسمى بالحب, حب مستتر تقديره "مستحيل غير مبرر", مستتر خلف ابتسامتها الحزينة ومدفون تحت حديثها غير المنقطع عن المذاكرة.. دائمًا كانت تبقي الحديث هكذا، وكلّما حاول هو الانحراف والتحدّث عنهما أرجعته بسرعة البرق إلى حديث الكتب والمذاكرة.. كأنها لم تسمع منه شيئًا، لا تعرف شيئًا.. لا تحس بشيء!

أصبحت التواشيح تذكّره بها.. يسمعها حينما يذاكر, حينما يفكر فيها, حينما يكون معها في بيت صغير بنافذةٍ واحدة يطلان منها على العالم.. بيت بناه في خياله الذي خوى من كل شيءٍ إلا صورةً لها لا تفارقه أبدًا.. يعلو صوت (النقشبندي) فيحس حيويتها, نشاطها، وصوت ضحكها المميز.. يخفتُ ويهدأ صوته فيتجسد أمامه حزنها الغريب وطيبة قلبها.. ينقطع فجأة.. فيترعج ويتعصّب: "إيه يا ماما! ليه كدة؟!", "يا ابني إيه النيلة اللي بتسمعها دي!.. حالك يا واد انت مش عاجبني بقاله فترة.. آخر مرّة اعترفت كانت إمتى؟!.. وبعدين فين لما كنت بتسمع تراتيل؟!.. إنت بتروح القدّاس وبتتناول ولا لأ؟".. يتخيّل نفسه في فقاعةٍ زجاجية خفية مضادةٍ للصوت، حتّى لا يضطر أن يثور على والدته بالرغم من إفسادها للحظة.. يحاول الوصول إليها بالرفق "مش برضه صوته حلو يا أمي؟.. إنتي بس جربي إدي له ودنك كده، مش تحسي إن فيه روح مصرية أصيلة؟!".. تردُّ متهكمةً "روح هبلة أصيلة, عايزني أدّي ودني لشيخ!.. إنت اتجننت يا واد!.. لا لا! أنا لازم أشوف الخُدّام بتوعك في الكنيسة".. تعصف خارجةً من الغرفة ومن تفكيره.. لتترك مساحة التفكير التي كانت تشغلها خاوية، لكنّها لم تعد مساحةً مريحة بشكل كافٍ ليعاود التفكير في أميرته.. يسرحُ ويكتبُ تلك السطور على ظهر أحد الكشاكيل "أليس من المفروض أننا خلقنا أحرارًا؟.. إذن.. لماذا لا يستطيع الإنسان أن يختار كل شيء؟!.. تولدُ ولا تختار أباك ولا أمّك ولا عائلتك ولا حتّى دينك!.. وإن حاولت أن تغير ما شببت عليه أصبحت ناكرًا للجميل, جاحدًا كافرًا مرتدًا، ليس في مضمونها الديني فحسب بل مرتدًا عن القانون الرتيب الذي يحكم

الأحداث والتصرفات من حولك ويحدد ما إذا كانت صوابًا أمْ خطأ.. يُهدِر دمك مَن حَولك.. تقتل ألف مرّةٍ في أذهان كل من يعرفك..

"يفنّطنا" القدرُ كأوراق "الكوتشينة" فنولد في المكان والشكل والقيمة التي يختارها لنا، وبالرغم من أن الله نفسه خالق السماوات والأرض سمح بالتعددية في الأشياء وسمح باختلاف البشر.. إلا أن البشر - خصوصًا أهلك، أقرب الناس إليك - يحرِّمون عليك الخروج أو التجول حول قبيلة أفكارهم، حتّى وإن كان خوفًا عليك من الضياع وسط لغط الدنيا ومتاعها.. لكن كيف لك أن تثق بل وتفخر بما أنت فيه وعليه، إلا إذا كان نتاج جهدك واختياراتك لا نتاج الصدف!

تمرُّ الأيام ويتقابلان معظم أيام الأسبوع في المعهد, تتغيّر معه أحيانًا.. يسألها فتردُّ بلا شيء.. "كلّه تمام"..
يخاف من أن تنتهي السنة دون أن يعترف لها بحبه.. ترمي بهما الأقدار إلى المجهول وأيام الدراسة سريعة تتسرب من أيديهما كحبات الرمال.. ففجأة، هما الآن قرب نهاية العام.. لم يبق إلا آخر أسبوعين في الدروس كلّها، ثم تبدأ فترة المذاكرة للامتحان وفي تلك الفترة يحبس الأهالي أبناءهم فعليًا في البيوت للتركيز في المذاكرة.. المذاكرة فحسب.. مع كلّ يومٍ يزيد الشعور الخانق في داخله بفقدها, يتسلّل من تحت جلده, يسيطر عليه ويخطف لونه وضحكته وحتّى صحته؛ فقرّر أن يقطع الوقت قبل أن يقطعه..

- أحبّك...

- أعرف! لكن.. ثم ماذا؟

- ماذا!!.. أحبّك.. فلنبق معًا!

- أمجنونٌ أنت؟!.. مسلمةٌ أنا ومسيحيٌ أنت!.. لا يصحُّ ولا يمكن..

تناقشا وتجادلا في الاحتمالات.. تتكلّم شفتاها تارةً ودموعها تارةً أخرى.. تبكي ولا يستطيع تجفيف دموعها فيبكي.. تستحي الشمس وتغرب على دموعهما..

- لماذا؟...

- لا أعلم.. العلم عند الله..

- إذن، سنفترق؟..

- خيرٌ لي ولك..

هنا يتوقف به الزمن ويدرك معنى الدموع الحارة الدافئة لأول مرةٍ في حياته.. ينقبض صدره معتصرًا قلبه وتدور به الدنيا, يكاد يغرق في ذهوله ويتوه تمامًا عن عقله ورشده إلى الأبد.. أو هكذا تمنّى أن يحدث..

- لن أنساك أبدًا, ساظل أسمع ترانيم فيروز وأتذكرك...

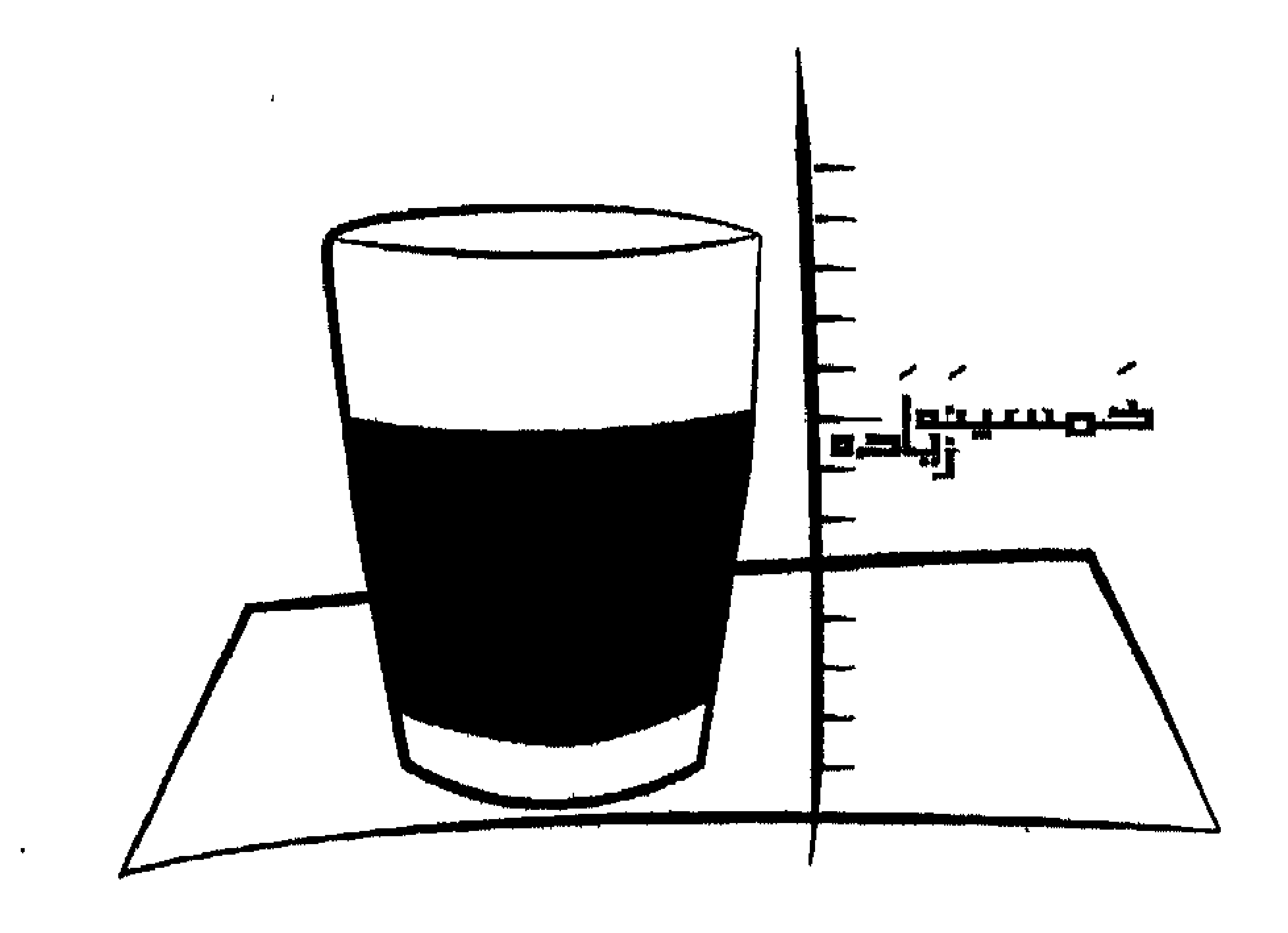
- أحقًا سنفترق؟..

- حتى لو افترقنا، سيظلُّ حبُّنا باَقيا.. إن لم يبقَ في ذاتنا فسيبقى في قلب الدنيا..

كانت كلماتها أشبه بحوار في فيلم عاطفي مصري قديم.. لكن هذه المرة لم تجد خيرًا منها لتصف ما تحسّه.. تكلّما وتبادلا النظرات الواهنة.. مرّ الوقت وتأخرت على عم (محمد).. جهزت نفسها للرحيل بالرغم من كل توسُّلاته وبالرغم من كل شيء.. افترقا..

بعدها، دخل في العديد من العلاقات لينساها.. وكل ما كان يفعله يؤدي لزياده جرحه عمقًا واتساعًا.. بعد فترةٍ اكتشف أنه لم ينسها، بل كان يجدها في كل من أحب أو ظنّ أنه يحب!.. أجزاءً منها.. ضحكتها, عينيها, رقّتها حتّى ذلك الهمس في صوتها!.. تمرُّ الأيام عليه ثقيلة.. صار يجلس دائمًا مطرقًا وحده أو حتى وسط أصدقائه, يشعل سيجارته.. ينفخ الدخان ببطء فيتمايل في الهواء على اللحن الهادئ المملوء بالحنين، يفكر في كل ما حدث.. يشرد كثيرًا إلى أن يقطع شروده.. صمت..

"يا ابني نقشبندي إيه وزفت إيه!!.. قرفتنا!.. إنت شكلك هتحول ياض إنت بجد!!"..



واحد خمسينة زيادة و حجر تفاح



"واحد خمسينة زيادة وحجر تفاااح". كلمات تخرج تلقائيًا من (عاصم) القهوجي لعم (عبفتاح) عند رؤيتي وأحد أصدقاء السوء على بعد أمتار من مدخل الملجأ الوحيد لضحايا البطالة.. تزدحم الكلمات وتتداخل الحروف في الأثير، لكن هناك وصلة دائمة بين (عاصم) و(عبفتاح) يصل من خلالها "الأوردر" لا يتأثر بهذا الازدحام، مهما كانت جهة (عاصم) ومهما كان العضو الذي يستقبل هذه الكلمات عند (عبفتاح).. تظهر مهارة (عاصم) - التي اكتسبها بحكم القدر وسنوات العمل الثلاثة والعشرين، أي ما يقرب من فترة ولاية الحاكم بأمر الله و لم تكن أبدًا موهبةً فطرية – عندما تدور الصينية في يده اليمنى مثل قطعة الحرير لتنزل على "الطقطوقة" بانسيابيةٍ عجيبة، بينما يده اليسرى مشغولة في تثبيت الشيشة وضبط الحجر في وقت لا يتعدى ثوان قليلة!!

استغرقت أنا وصديقي في الحديث حول أحلام المستقبل والقدر المصاحب لأمثالنا والذي يقف دائمًا أمام هذه الأحلام التي أصبحت غير مشروعة، فالأحلام أصبحت سيئة السمعة، فهي لا تختلف كثيرًا عن صديق السوء لدي!!.. لأنه في حالة مشروعيتها فيجب أن تكون متأهبًا لدفع مصاريف علاج الاكتئاب الحاد و"الكعب الداير" على مستشفيات البلد النفسية أو حجز مقعد دائم في "سرايا العباسية الصفراء"!!

يبدو أن حجر الشيشة كان مختلطًا بنوع آخر غير "حجر التفّاح" وأرجح أنها قطعة "كِيف"؛ فربما أخطأ (عبفتاح) في التمييز بين المعسل الخاص بالحاج (رفعت) صاحب المقهى والمعسل المتاح للعامة!!

استرسل زميلي في الحديث عن أحلامه وطموحاته وعن العربية "الفور باي فور" التي يريد امتلاكها بعد سنتين من الآن، والشركة التي يديرها بإصبعه ممارسًا سلطته بامتلاكه واحد وخمسون بالمائة من رأس المال، والسكرتيرة بجوار مكتب الإدارة والتي اعتاد أن يداعبها بين الحين والآخر بالنظرات، بالهمسات، واللمسات، وال... إلى أن انطلق صوت من الخلف يطابق صوتًا يخرج من (عادل أدهم) أيضًا، لا إراديًا عند استسلامه للنوم، ويعشق هذا الصوت أهلي من قاطني الاسكندرية.. فلا إراديًا أيضًا يفيق صديقي من تأثير الحجر المشبوه لكيلا يسمع المزيد مما لذ وطاب من الكائن الذي بالخلف!!

فجأةً ودون مقدمات تحولت جميع التجمعات الدورانية إلى اتجاه واحد، فجميع العيون تحولت إلى سهام موجهة إلى "التي في" لمشاهدة لقطة لا يمكن رؤيتها بالمنزل، إما لعدم توافر قناة الشاشة التابعة لأوربت – فهي من قنوات قلائل توفر اللقطة "الأن كَت" – أو لوجود فرد من الأسرة الفاضلة يشاركك اللحظة.. مبررات مشروعة!!

عندما فعلت "زي الناس" وأدرت الكرسي الخاص بي موجهًا سهمي أنا الآخر إلى "التي في" وجدت مبررًا مشروعًا أيضًا للحضور في ردة الفعل هذه؛ فاللقطة وفرت لهم طموحًا جديدًا وطريفا، ربما يكون أسهل لأن البطل – (سري

النجار) – لم يكن بالشاب الوسيم ساكن القصر ذي الجواري والعبيد، فهو يشبه كثيرًا (عاصم) القهوجي والذي كان أكثرهم تأثرًا بالمشهد الذي يقابل فيه الفنانة "منّة شلبي" في أحد أكثر المشاهد سخونةً في تاريخ السينما!!

لم يكن تركيز مشاهدي اللقطة من فيلم (الساحر) على سخونة المشهد بقدر تلك الخيالات التي تؤدي بهم لأن يكون أي منهم في هذا الموقع من الإعراب، والذي يمثل حلًا واقعيًا لعدم الزواج حتى الآن وعدم توافر بوادر أمل تشير إلى حدوث هذا الأمر في المستقبل إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولا.. فهذا الشاب جمع بين ميزة الزواج والشهرة ووجود فرصة عمل تتيح رؤية هذا المشهد "ثري دي" بدلًا من شاشة المقهى!!

لم أكن على هذا القدر من التركيز ككل من حولي.. ربما لأني أصغرهم سنًا ومازلت أرى آمالًا وطموحات أخرى وأسعى لها فعليًا، وربما كان بتأثير غير مباشر من ارتباطي بطبقة سفسطائية يقال عنها مثقفة ترى في (منير) أو (فيروز) مثالًا للمغني وفي (باخ) و(موتسارت) المزاج الرسمي "للمزيكا"، والمشهد الساخن بالنسبة لي هو ذاك المشهد الذي يجسد معاناة المواطن المطحون والذي أبدع فيه (أشرف عبد الباقي) في (صياد اليمام) .. فقد عشت لوهلة من الزمن وحيدًا أفكر في أي شيء إلى أن عادت الجلسات إلى دائريتها وانتظمت الحياة طبيعيةً في المحيط!!

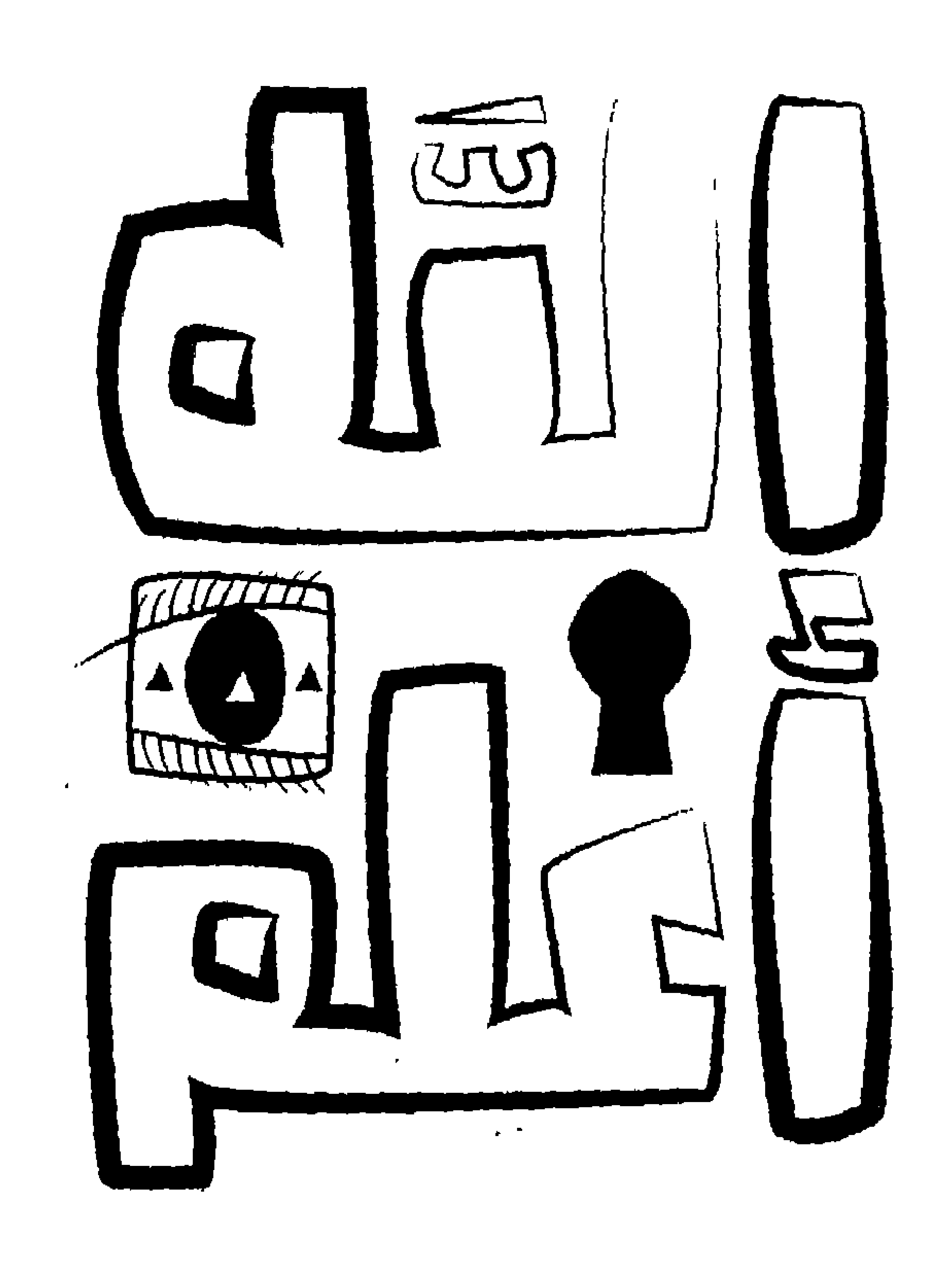
لم يكن القدر مخيبًا لآمالي؛ ففي ظل كآبتي من ظلم ما يحيط بي، إذا بصوت عذب ينطلق من الشاشة أيضًا يحمل ترنيمة "يا ساكن العلا" للرائعة (فيروز)

لتحمل لي كيفي الخاص والذي يتعدى في "التظبيط" كيف معسّل الحاج (رفعت)، فقد عشت لحظات ملائكية مع صوت عذب بخلفية القانون والكمان والذي تزيد متعته وروحانياته عند اختلاطه بصوت الكورال..

" يا ساكن العالي.. طل من العالي.. عينك علينا على أراضينا.. رجع إخوتنا وأهالينا.. يا ساكن العالي طل من العالي.. وطيّر الحمام عَ اطراف الأيام.. وقدَرنا ننام عَ إيدين السلام"..

ارتسمت على صديقي علامات تعجب واستغراب من مدى تأثري بالألحان والموسيقى الروحانية الرائعة – بالنسبة لي – فأخذت على عاتقي محاولة شرح هذا الإحساس الرائع بالنشوة والملائكية، وكان الكائن بالخلف منصتًا بشدة لطرقات الحديث، فلم يحن دوره بعد في لعب "الدومينوز".. وكان حديثي هو متعته الوحيدة المؤقتة!

في أثناء الحديث قاطعنا الكائن نفسه بالصوت نفسه الذي أطلقه في بداية الجلسة، ولكنه في هذه المرة كان مستجمعًا كل قواه في حنجرته، فانتفض إلى التلفاز "أقلب الكفر ده إزاي؟!" موجهًا صراخه إلى (عاصم) المسكين، عندما سمع – ضمنيًا في الحديث – أن هذه الترانيم تُتلى داخل الكنيسة!



هذا .. والله تعالى أعلى وأعلم



ملعون هو ذلك الشعور الذي ينتابني يوميًا قبل الفعل المفترض أنه بغرض الراحة.. لحظات "تفقع المرارة" تلك التي تحاول فيها طلب النوم بينما هو لا يستجيب لك بالمرّة!.. النوم هو الموتة الصغرى، وعند الموت حساب، ومن المعروف أن الانسان يرى أحداث عمره كاملةً أمام عينيه وكأنها وليدة اللحظة عندما يكون الميعاد مع (عزرائيل) للقاء رب العالمين في الحياة الأخرى، أو بعبارة أخرى: الحياة الواقعية.. يأتيك متجسدًا فعل اليوم والأمس وقبل الأمس بما يحوونه من أحداث مهمة وتافهة، وعلى الرغم من أنه وقت الليل إلا أنه بمثابة وقت الذروة لذلك الضمير الذي لا يحلو له الاستيقاظ إلا في هذه الساعة، وهي ساعة الحساب اليومية التي لا يمكن الهروب منها إلا بيوم شاق يجبرك على الخلود إلى النوم قبل أن يصل رأسك إلى مخدة السرير، وهذا الهروب يأخذ بيدي إلى جحيم آخر هو تلك الكوابيس والأحلام الشيطانية التي تجعل من ساعات النوم قطعة من العذاب.. اعتدت قراءة الكثير من الأدعية والآيات القرآنية بعد تلك الساعة العصيبة حرصًا على عدم تحصيل كل من حساب الضمير وكوابيس النوم في ليلةٍ واحدة.. لا أعتقد أنه باستطاعتي تحمّل مثل هذا العقاب القاسي نتيجة تركي للأدعية والصلوات.. خمس دقائق كافية لتحصيل نصف المقدار من العذاب.. الخلاصة أن النوم بالنسبة لي ضرورة حيوية وليس - أبدًا - فعلًا يأتي بالراحة!

يوم هادئ بسيط، بدأ باكرًا - على غير العادة - بإفطار "خواجاتي" في أحد "كافيهات" الزمالك الهادئة على قطع صغيرة من "الكوكيز" والشاي البارد المحلّى ببعض المكسرات والقرفة.. وقت هادئ ومفيد جدًا بالنسبة لي أحتاج إليه من

الحين للآخر لتجاذب أطراف الحديث - في خلفيةٍ من موسيقى "موتسـارت" وبعض الأغاني لمطربي المفضّل "مارك أنتوني"، ربما كانت الصدفة لكنها اتفقت تمامًا مع "مودي" الموسيقي - مع صديقتي ذات الشعر الأشـقر والوجـه ذي الملامح الهادئة الجميلة.. في الحقيقة هي طفلةٌ كبيرة،تراها طفلةً في هـذا الكـم بدخلها من البراءة، كبيرة بعقلها وقلبها الذي مكّنها من احتواء شخص معقّـد مثلي، بل تذهب معي أحيانًا كثيرة للدخول في جدالات ونقاشات، إن دلـت فإنما تدلّ على تقبّلها لحديثي غير المعتاد من جنسي عندما يكون موجّهًا إلى هذا الجنس الناعم، خصوصًا إذا ما تمتّع بمثل هذه الميزات الفريدة والنادرة.. ربّمـا وجدت هيَ الأخرى في شخصي الغريب عنصرًا يضيف إليها جديدًا في حياتها المملة والتي لم تعتد منها غير سماع كلمات الغزل والنفـاق والمعاكسـات في الطريق والأحاديث "البناتي" الشديدة التفاهة والسطحية والتي لا تجـد طريقًـا سوى مناقشة أحوال الناس وأشكالهم وعلاقاتهم الجديدة و"الشـوز البلارينـا" ومحل الإكسسوار الجديد في "جراند مول".. في كل مرّة لا بدّ أن يبدأ الحديث بتذكّر أول ميعاد للقاء في المكان نفسه، عندما كانت العلاقـة بيننـا في عـالم افتراضي لا تخرج عن الـ "إم إس إن" أو الـ"الفيس بـوك شـات"، حتّـى اكتملت عوامل الثقة التي دفعتها هي لطلب اللقاء لأنها تعلم يقينًا أنّي أمتلـك الرغبة نفسها، لكن حرصي على استمرار العلاقة كان هو الدواء الذي ألهمـني الصبر طول هذا الوقت.. ترسم ابتسامة تليها ضحكات متقطعة رقيقة وناعمـة عندما تتذكر تلك "النظارة الشمسية" شديدة السواد والتي كانت تكبُـر عـن محيط وجهي بسينتمترات قليلة.. ظلت تعلو أنفي على الرغم مـن أن المكـان

بضيئه مصابيح خفيفة، لكنها كانت العلامة الوحيدة التي استطعت أن أصفها كي لا نتوه في اللقاء الأول!

مع انتهاء هذا اليوم الهادئ البسيط، ومع حلول وقت الضرورة الحيوية والتي تتكرر يوميًا، اكتشفت أن ساعة الحساب قلت بمعدلات كبيرة.. ساعات الحديث في "كافيه" الزمالك تضمنت كثيرًا من حساب النفس العلني والذي أشركت فيه آخرَ أثق فيه وفي حكمته.. فقلّلت من الوقت الذي اعتدت أن يتعدى الساعة والنصف ليصل إلى حوالي نصف الساعة وربما أقل – لا أدري! – فقد كنت في العالم الآخر في وقت قليل لا أتذكر شيئًا ولا أتذكر حتّى أنّي رددت الورد اليومي من الأذكار والأحاديث...

الجحيم يحيط بي من كل اتجاه، ألسنة اللهب تتصاعد، تأتي أصوات هامسة تتصاعد حدتها تدريجيًا.. لا شيء يتسم بالوضوح الكامل، لكنّي أعرف هذا الصوت.. "انت مابتصلّيييييش ليييييه؟؟؟"، ثم يظهر الشيخ ذو الملامح الحادّة موجهًا نظراته الثاقبة إلى عيني مباشرةً.. حولي أشخاص كثيرون لا أستطيع تمييز ملامحهم!!.. جميعهم يمرحون ويلعبون، بينما هو ينظر لي أنا بالذات!.. العرق يتصبب من جميع أنحاء جسدي، والخوف يكاد أن يفتك بي!.. الصوت يعلو تدريجيًا، ومع اشتداد حدة الصوت ينتهي الإحساس بأطراف جسدي ويتسلل إلى الداخل تدريجيًا.. أفقد القدرة على إدراك كل ما حولي..

انتفض جسدي فجأة...

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"!.. أحاول التنفّس بعنف، فلا يكاد الشهيق ينتهي حتّى يلاحقه خروج الزفير لأتأكد أني مازلت على قيد الحياة.. أنظر إلى أصابعي وأحركها للداخل والخارج.. أتحسس بها أجزاء جسدي.. أقفز من السرير لأجد نفسي أمام المرآة أتأمل ملامح وجهي..

الحمد لله.. لم يتغيّر أي شيء!

لم أدرك معنى كلمات الشيخ! هل هي رسالةٌ مقصودة؟.. لست مقصرًا في أداء الصلوات، على الأقل أفضل من كثير لا يعرفونها أساسًا! بقليل من المنطق أدركت أنه كابوس شيطانيٌ لعين، فلا يمكن للخير أن يأتي من خلال كل هذا الجحيم!

أحضرت كوبًا من الماء، قرأت عليه بضع آيات من القرآن الكريم، شربته على ثلاث مرّات يتخللها "الله أكبر" ثم أغير موضع نومي.. أجلس على السرير، يلتصق جسدي به تدريجيًا.. أغمض عيني في طمأنينة بينما أتلو أذكار ما قبل النوم وبعض الأدعية، حتى أدخل في سبات عميق.

جحيم لكن من نوع آخر، لم أكن بداخله.. فقط كنت مطلًا عليه من زاوية بعيدة.. لا أكاد أتذكّر سوى تلك الملابس السوداء التي تبرز منها لحى طويلة يتدلّى من تحتها جسم معدنيّ ذو أطراف أربع.. العديد من هؤلاء!! يتخلل هذا السواد بياض آخر تبرز منه أيضًا لحى طويلة، وتخرج منها أيد تمسك بسلسلة تحمل حبات يحركونها بإصبع الابهام.. أشير إليهم الآن بالسبّابة.. (لا تتعجل

عزيزي في الحكم، لم يكن جحيمًا كذلك الذي دائمًا ما يدور بخيالك المريض) ولم يكن نتاجًا خارجيًا!.. ألسنة اللهب تخرج من أفواههم.. نعم، أفواههم هي مصدر الجحيم كتلك التنانين التي وصِفَت لنا في الأساطير القديمة!.. لم أجرؤ على مد يد العون خوفًا من دخول هذا الميدان اللعين.. في هذه الحالة لا يمكن لعقلك الباطن إلا أن يعطيك إجابةً واحدة: "ياكش تولع"!

لم ينظر إليّ أحدٌ هذه المرة، كانت النظرات محصورةً في محيطهم، تتحدث بكلمات رأيتها تدل على اللوم والندم.. لا أدري لم كل ذلك!

لم أشعر بالراحة فيما رأيت، فتحركت بخطواتٍ قليلة تزداد سرعتها كلما مرّ الوقت شديد البطء..

فجأة أصطدم بعالم آخر هادئ، لم أتمكن من الرؤية.. شعور ينمو فقط بداخلي!.. أسمع همس صوتٍ أعرفه، صوت يريحني كثيرًا وأشتاق إليه بشدّة.. تأكدت أنه صوت "كريستين" عندما رأيت فاها، بعدما كان تائهًا في أدخنة اللهب التي زالت عن عيني تدريجيًا مع تتابع الخطوات للاقتراب من الميدان الجديد.. صديقتي التي اعتدنا أن نتحدث سويًا.. لم تكن وحيدةً هذه المرة.. كان المحيط مليئًا ببشر أعرف الكثيرين منهم.. (أحمد زيكا).. (ميخا).. العديد من أصدقائي هناك.. أطفال يلهون ويفرحون.. يشع من محيطهم النور.. ذو الحجم الصغير منهم كان عاريًا يلعب في الوسط، بينما ذو الحجم الأكبر قليلًا كان يلبس ألوانًا مبهجة يشع منها النور ويحيط بالدائرة من الخارج.. العديدون

أيضًا من البشر يلبسون ملابس قديمة متهالكة لكنّها أعجبتني!.. لم تكن هذا السوء الذي يدور في مخيلتك..

اندفعت بسرعةٍ شديدة أحاول دخول هذا المحيط..

ينتفض جسمي مرةً أخرى متأثرًا بشدة الاندفاع..

علمت أنه لا نوم في هذه الليلة!..

أمسكت بالـ"ريموت" وفتحت التلفاز لأجد ذلك القس يتحدث عن أن المسلمين هم ضيوف على (مصر).. لم أميّز حديثه فسارعت بتغيير المحطّة لأجد ذلك الشيخ يحذّر من خطورة النّصارى على أمن الوطن، واستعدادهم لحربٍ صليبيةٍ جديدة يجب الحذر منها والاستعداد لها..!!

حينها فقط – بقليل من المنطق – علمت أنه لم يكن حلمًا شيطانيًا.. هذه المرة كانت رسالة مقصودة...

هذا.. والله تعالى أعلى وأعلم!

	كبير	صغير
شَرَابًا طَهُورًا	1,00	,75
تَمر هِنـدي	1,00	-
سوبـيا	1,00	-

دهب قشرة

- صلّي بينا ع النبي!
- صلّيت يا سيدي.
- لا والنبي لتصلى ع النبي!
- يا عم خلاص بقى!
- طب والنعمة الشريفة لتصلي..
- يا سيدى مسيحي..
- (يتّاخد شوية).. طب يا عم ما تصلّي ع اللي يشفع فيك..

يحدُث هذا معي ومع كثيرين بشكل دوري.. دائمًا هناك من يحاول أن يجعلك "تصلّي ع النبي".. حتىّ أهالينا نبهوا علينا - أيام كنا نكتب موضوعات تعبير، أنه من الواجب والمفروض - إلى جانب ضرورة الإكثار من الآيات القرآنية - أنك لو كتبت اسم النبي فيجب أن تصلّي عليه، أو على الأقل أن تكتب بجانبه (ص)، وبهذه الطريقة - اللي المفروض إنها صايعة - سينخدع المصحح وينبهر ويعتقد أنك مسلم متدين ورع تقيّ مثله تمامًا.. وهنا يلحُّ عليّ السؤال دائمًا:

"يعني هوّ مافيش مدرسين عربي مسيحيين أو مسلمين بس مش متدينين قوي؟"..

فيما أعتقد – وليس فيما أتأكد – أن المرء المسلم يُثاب بحسناتٍ إذا جعل أحدهم يصلّي على النبي، ولا اعتراض على ذلك.. المشكلة – بالنسبة لي – أن هناك أشياء من كثرة استخدامها فقدت قيمة فحواها.. فمثلًا، علموني – في أسرتي – أن أشكر الله بعد الأكل، مثلما أعتقد أنه الحال في كثيرٍ من الأسر.. اعتدنا جميعاً قول "الحمد لله" بعد الانتهاء من الأكل.. ومع الوقت أصبحت "الحمد لله" علامة "لـــ ماما" أنك ستهرب من غسيل طبقك بعدما انتهيت من الأكل، لا علامةً على شكر الله الذى وهبك الطعام، مَثَلُ هذا كمَثَلِ الكثير من الأشياء والعادات.. ككلمة "إن شاء الله" من المفروض أنك تقدم مشيئة الله قبل مشيئتك، لكنها– ومع الأسف – أصبحت تعني "ابقى قابلني".. وغيرها الكثير من الكلمات والجُمل التي أصبحت لا تختلف كثيرًا عن علامات الترقيم بين الكلمات!

"التِرِبّ [2]" هنا يا سادة أنها مصطلحات وكلمات تحمل معنًى دينيًا.. ومما لا شك فيه أن الدين يُفهم قبل أن يُحفظ ويُكرر, فتكراره بدون فهم وإدراك في كل مرّةٍ "يخوّخه" من الداخل ويجعله مجرّد مظهر.. قشرة.. وكما هو ملموس لا يحدث هذا فى طبقةٍ اجتماعيةٍ واحدة ولا دينٍ واحد.. بل إنّها سمةُ مجتمع، على اختلاف الدوافع..

---

[2] التِّرِب: تنطق كما تنطق **trip** في اللغة الانجليزية، ومعناها "الخازوق" ولا مؤاخذة.

هناك من "يتمنظر" بالدين لدافع شخصي، فتجد مسيحيات ترتدين صلبانًا لو زادت عن حجمها قليلًا قد تعجز عن رؤية الفتاة التى ترتديه، مما يضايق أخي المسلم الصائم في رمضان فيبادر بقول "أستخفر الله العظيم, اللهم إنّي صائم" وكأنّه رأى الفحشاء "والعياذ بالله"، ولا أحد يعلم بالتحديد ما المفيد أو المختلف فى حجم الصليب، وأيضًا لا أحد يعلم بالتحديد هل رؤية الفتاة على حالها تلك هو ما دفعه لحافة الذنب والإفطار، أم التفكير في الفتاة بشكلٍ يجلب الذنوب هو ما دفعه لتلك الحافة.. الجدير بالذكر أنّه - في رمضان خصوصًا - كل الأشياء تُصبغ بطابعٍ ديني وعندما يكون صحيحًا خالصًا يكون له مذاقٌ جميل ودافئ يحبه الكل - بمن فيهم المسيحيون - لكنّ الكارثة أنّ المعاكسات هي الأخرى تتخذ شكلًا دينيًا مثل "هو العسل بيفطّر يا جدعان؟" و"رمضاااااان كريييييم" وغيرها وغيرها.. ولن أتكلّم عن مدّعيات الحجاب الموسمي والدائم فجميعنا يراهنّ بشكلٍ يومي..

ثم يأتي المستوى الثاني، وهو مستوى أكل العيش "لله يا محسنين لله".. بخصوص هذا الموضوع أتذكّر جيدًا في مرةٍ كنت أجلس مع أصدقاء لي على مقهى ما، لم يكن فيه مسيحي غيري، ثم جاءت سيدة متلفحة بالسواد تسحل طفلًا خلفها.. وقفت بيننا وقالت - والأسى فى عينيها - ناظرةً لي:

- دا احنا مسلمين يا بيه, يرضيك يا بيه الست المسيحية اللي هناك دي تتنك وتتمألس عليّ كدة؟!.. دا احنا كلّنا غلابة يا بيه, حاجة والنبي.. أجبر بخاطري..

ابتسمت قائلًا:

- أنا كمان مسيحي يا حاجة!..

هذا مستوى.. هناك مستوى آخر، وهو مستوى مكتبة وصيدلية وسوبر ماركت وأزياء وكشك وأحذية (وناقص يعملوا علب تونة (المحبة) عشان فى الصيام مانضطرش نجيب من حد غريب)، إن لم تكن لاحظت كثرة الأماكن التي تحمل أسماء مسيحية، أدعوك عزيزي لزيارةٍ سريعة لشبرا وستفهم قطعًا ما أقصده أو "بلاش (شبرا).. يا راجل ده فيه محطة مترو اسمها (الملك الصالح) وواحدة تانية اسمها (مار جرجس)"!.. ولا ننسى أيضًا "***وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا***" وهذا يوضّح أن صاحب المحل قد افترض أن شراب الجنّة سيكون قصبا!!..

كل هذا لا يقارن بما يكتب على لافتات الانتخابات "الإسلام هو الحل".. فحتّى لو كان الإسلام هو الحل، فيا صديقي، أنت لست الإسلام!.. إنه من المُخزي استغلال ما بين العبد وربه لكسب أصوات البسطاء، وكل هذه مجرد أمثلةٍ لا تحصى لكل ما يحدث من منظرة وتفاخر بالدين!..

"يعنى من الآخر".. لو نظرت إلينا من الشباك فنحن بلد متدين إلى أقصى درجة.. "متدين آخر حاجة!!".. لكنّ هذا من الشباك فقط، و"مش أي شبّاك"!.. شبّاك في الرحاب مثلا.. هل تشعر أنّ الشعب متدينٌ بحق؟.. سواء

كان مسيحيا أو مسلما؟.. أعلم أنّك ستقول أن "صوابعك مش زي بعضها" وفي كل سلةٍ تفاحة فاسدة.. ردّي عليك: "تفاحة واحدة؟".. ألا تعتقد أنّ الدين يساء استخدامه بشكل يومي؟.. في اعتقادي الشخصي أنّ الإنسان عندما يزيد في كلامه أو في تصرفه شيئًا ليس من بنات أفكاره، فإنّه بذلك يحاول كسب المصداقية، فعندما نصحنا أهلونا باقتباس آياتٍ من القرآن كأنّ هذا لتأكيد أن "العمل عبادة" أو أنّ "الجنة تحت أقدام الأمهات".. وعندما حلف الحرامي كان هذا لإثبات أنّه "بريء يا بيه"!!.. وأخي صاحب مركز "أمّ النور" – بغض النظر عن النشاط التجاري للمركز – فإنّه يسعى بهذا الاسم لتأكيد أنّه مسيحي أمين، وأن كل من في المركز مسيحيين.. وأخي المشمئز من الفتاة المسدلة لشعرها يؤكّد بقوله "اللهم إنّي صائم" صومه!!.. ولكي لا تسيء فهمي، فليس الدين فقط ما يستخدم لكسب المصداقية، فـ"أنا ابن عمّ الباشا" تُكسب الكثير من المصداقية اليوم، ربما أكثر من الدين للأسف!!.. وأيضًا – لأكون واضحًا – لا مشكلةَ عندي أن تستخدم الدين أو أي شيءٍ آخر مشروع لتدعم موقفك في أي مجال، ويجب لي أن أقول هذا لأن الكتاب الذي بين يديك يتكلم عن الدين أساسًا.. لكن لحظة من فضلك!.. نحن نكتب لهدفٍ سامٍ – هذا إلى جانب سبّوبة حلوة "إن شاء الله"– !

المهم يا صديقى..

ألا تشعر بالازدواجية تسدُّ عين الشمس؟!.. ألا تشعرُ أن "الناس دي أوفر كدة؟!".. هل نحتاج دليلًا لإثبات أنّ "العمل – مش هاقولك عبادة – بس شيء

مهم"!!.. لو لم يكن "الحرامي" في هذه البلد يجرد من آدميته عندما "يتقفش".. هل كان سيحتاج للحلفان، أم كان سيحتاج لمحامٍ يدافع عنه؟!.. لو كان مركز "أمّ النور" على مستوى الكفاءة المطلوبة، هل كان سيحتاج لهذا النوع من الدعاية، إلا إذا قرّر صاحبه أن يميز بين المتلقين لخدمات المركز؟.. وفي تلك الحالة عارٌ عليه اسم "أمّ النور"، فالنورُ يضيءُ في الظلمة كلّها.. لا يختار ولا يفرّق!!.. وعزيزي القرفان – على ما أعتقد –.. مضايقة الناس فى الطريق لا تكسبك حسنات بقدر ما يمكن أن تكسبه من غضِّ البصر!!..

أعتقد أننا إمّا شعبٌ يفتقد الأمان و"مخوِّن بعضه" لهذه الدرجة المخيفة، أو أننا شعبٌ "حافظ مش فاهم"!..كثيرون فُطروا على استخدام مصطلحات دينيةٍ دون التفكير فيها، لكن هذا لا يجوز؛ فالدين – مهما كان – هو دين معاملة وخلق.. بعث الله الأنبياء والرسل لينيروا للناس الطريق كي يحيوا حياةً أفضل، ليعلّموا الناس كيف يقمعوا الشرَّ المتأصِّل فينا منذ البدء.. فإن كنّا أحيانًا نستخدم ما وهبه الله لنا في الشرّ لا لقمع الشر, فماذا يبقى لنا في الآخرة؟!.. هذه مجرد كلمات ولن تصل للجميع، وإن وَصلت فلن تغيّر كثيرًا..كلُّ ما أطمح فيه هو أنت يا صديقى.. أنت, لا تكن كالأواني المطلية بماء الذهب وهي في الأصل من النحاس أو الحديد..كُن ذهبًا من الداخل والخارج.. فلتقدّم المشيئة فعلًا, فمن يقدمون المشيئة ظاهريًا فقط هم من يتضايقون إذا لم يحدث ما يريدون.. قِس على ذلك كل "الأكليشيهات" الأخرى.. لن يحاسبك أحد إلا الله؛ فلا يكونن خارجك ذهبًا للناس وقلبك حديدًا لله.. تعلمت ألا أضيع وقتًا أكثر من الذي ضاع محاولًا إرضاء الناس أو محافظًا على قيمهم وثبات عاداتهم..

ولا تضيع وقتك عبثًا أنت أيضًا، لو كان قلبك ذهبا فأبقهِ لله، وإن كان حديدًا فلمّعه وأثقله ذهبًا لله، ولله فقط.. وقبل أن أنهي كلامي أودُّ أن أتوجّه بنصيحةٍ للأهالي.. "بس يصلوا ع النبي الأول"!!

طوال السنين التي كتبت فيها موضوعات تعبير في المدرسة، كنت أنقص أنا ومعظم زملائي المسيحيين في الدرجات - ولا نعلم لماذا! - فكنّا نفعل تمامًا كما قيلَ لنا، مما دفعنا للشكِّ في حبكة الخدعةِ التي علّمونا إياها.. مع الوقت اكتشفت أنّ "الجنة تحت أقدامِ الأمهات" ليست بآية قرآنية، بل هي حديث.. وهو حديث غير صحيح أصلًا!!

"يعني - بالصلاة ع النبي كدة - كفاااااااية فيّ.. العيال هاتضيع"!!

احسبها صح .. تلبسها صح



عندما يأتي ذكر القنبلة الذرية، أو نسترجع ذكريات مذبحة (هيروشيما) النووية تقفز أذهاننا تلقائيًا إلى العالم (ألبرت أينشتين)، فهو الشخص التي أتت به الأقدار لهذه الحياة ليكتشف اكتشافًا صغيرًا يتمثل في معادلة بسيطة 2E=mc ولا يهم الآن ماذا تعني هذه الرموز!

"عند ضرب ذرة من اليورانيوم بشعاع من النيترونات بهدف تقسيمها ينتج عن هذا الانشطار طاقة هائلة".. هذا هو المغزى الهائل والمعادلة البسيطة التي تغيرت معها جميع المعطيات، وتتغير معها النتائج تباعًا في هذا العصر بعد قرون من اكتشاف (أينشتين) لها، على الرغم من أنه لم يستخدمها، لكنها لفتت انتباه (روزفلت) رئيس (الولايات المتحدة الأمريكية) حين ذاك، وسخّر إمكانات وجهودًا عظيمة لدراسة هذه المعادلة، وقام العلماء بتطويرها والتركيز على توجيهها نحو خلق معادلة جديدة للقوى، والتي سيكون بإمكانها القضاء على تعادل القوى في الساحة الدولية وخلق كيان أوحد وقوة عظمى وحيدة قادرة على أن تعيد زمن إمبراطوريات الرومان والفرس لكن على أرض (الولايات المتحدة الأمريكية)..

تسبب اكتشاف (أينشتين) - بشكل غير مباشر - في إنتاج (الولايات المتحدة) لأول قنبلة نووية، والتي استخدمت - بشكل مباشر - في سحق مدينتي (هيروشيما) و(نجازاكي)، وتحويل كل ما تحويانه من مظاهر للحياة إلى أكبر مقبرة يعرفها التاريخ.. إنها أعظم جريمة في تاريخ البشرية!

كذلك فعل الفنان الراحل والرائع (عبد المنعم مدبولي) عندما جاء بحكمته المعروفة "أنا مش قصير أُزعة.. أنا طويل وأهبل"! جملة من شطرين لكنها حملت معانٍ عظيمة، أخذ بها وطورها علماء التنمية البشرية لتصنع نظريات عديدة وتؤلف من خلالها كتب تدرس الآن في كليات علم النفس وفي معاهد التنمية البشرية والإنسانية.. فالحكمة قائمة على أن ما يردده اللسان ويدور في العقل بشكل مستمر يتحول إلى حقيقة واقعة يحس بها الانسان فعلًا، وما يحدث حولنا من خير أوشر هو انعكاس لأفكارنا التي تترد في عقولنا.

لم يسلم اكتشاف الفنان الراحل من فكر وأتباع الرئيس (روزفلت).. فقد أتى – في هذا العصر أيضًا – من يستخدم هذه النظرية في حق يراد به ألف باطل، وفي أغراض وحروب تحمل أهدافًا خبيثةً ومدمرة..

تفرض علينا الحياة أن نأتي بالجديد لكي تستمر، والجديد يأتي بتوابعه وعواقبه!! لا مفر من هذه الدراما والتراجيديا لأن المعنى الوحيد للمفر هو إيجاد طريق للهروب من القدر، وهي موهبة لم يعرفها بنو البشر، فقد صدق (يوسف وهبي) حين قال "وما الدنيا إلا مسرح كبير".. جميعًا نلعب أدوارًا لا نختارها ولكنها فرضت علينا بفعل هذا الشيء المسمى بالقدر!!.

نسمع كل يوم عن احتجاجات أمام (الكونجرس) الأمريكي وأمام منظمات حقوق الانسان الأوروبية تطالب بإنهاء الظلم والقهر الواقعين على مسيحيي (مصر)، فالتعدي على حقوق الأقباط في (مصر) يسير على قدم وساق في دائرة لا نهائية، تغتصب نساؤهم ويقتل شبابهم وتسرق أملاكهم ويمنعون من أداء عباداتهم وفرائضهم..!

النداءات مستمرة، وتشتد لهجتها بمرور الوقت نتيجة زيادة الاحتقان الطائفي في (مصر)، وتطالب بضرورة وسرعة التدخل لحل الموقف، على كلٍ القيام بدوره! (الولايات المتحدة الأمريكية) – حامية العدالة وحقوق الكلاب قبل الإنسان – تهدد بإلغاء المعونة وتؤكد أن العلاقات بين الدولتين مرتبطة بالتحرك الإيجابي في ملف الأقباط.. استهجان دائم من (الاتحاد الأوروبي) لهذا الاضطهاد والإبادة العرقية والجريمة المنظمة!.. لا عجب!! فالمجتمع الدولي حاليًا يمر بفترة عظيمة من فترات التاريخ، فلم ولن يقف صامتًا أمام أي انتهاك لحقوق الإنسان في أي مكان على سطح الأرض، لهذا لجأت مجموعات من أقباط المهجر – الذين يأكلون "الفراخ البانيه والاستاكوزا" من هذا الاحتقان الطائفي – لهذا الحل لكي تمارس هذه الدول ضغوطًا لدحض هذا الظلم والقهر، بحثًا عن حرية وديموقراطية حقيقية تراعي حقوقهم السياسية والإنسانية كتلك التي نراها في (العراق) و(أفغانستان)!! "احسبها صح.. تلبسها صح"!!

ترديد نغمة الظلم والقهر والإبادة العرقية والعنصرية ضد أقباط (مصر) بوصفهم أقلية – اعتمادًا على نظرية "أنا مش قصير أزعة.. أنا طويل وأهبل" – خلقت شعورًا متأصلًا لدى المصريين بالداخل يؤكد هذا الفعل، ويولّد احتقانًا ليس له أسباب حقيقية، فجميع هذه الأفعال لم تمارسها حتى النازية ضد اليهود إلا في أفلام الخيال العلمي، أو في الأحلام إذا ما تصادف أن يصاحبك فيها (إبليس) شخصيًا.. بعيدا – أصلًا – عن عدم شرعية تدويل مثل هذا الملف؛ لعدم ارتباط مصالحنا تمامًا بهذه الدول، ولعلمنا اليقيني بأن الخارج لن يفعل الخير لنا لوجه الله، وأنهم لن يفوتوا مثل هذه الفرص للضغط على المحروسة في ملف الجارة

الشقيقة المحتلة، أو فقط بغرض إشاعة الفوضى وشغلنا بقضايا فرعية، مثل تلك التي في جنوب (السودان) و(العراق) و(المغرب) و(البوليساريو)، حتى ندخل في صراعات طائفية ونصنع لأنفسنا "نظريات للمؤامرة" تبعدنا عن التقدم والمضي في طريق التنمية والإصلاح.. "وإحنا ساكتين"، آخذين بالمثل القائل "أموت أحسن ما أنجتل" - الذي أطلقه (اللمبي) – على أساس أننا في فساد وإفساد، وأن المحتل لن يفعل بنا أسوأ مما يحدث فينا.. "احسبها صح.. تلبسها صح"!!

لا يمكنني بأي حال من الأحوال قبول هذه النغمة التي تعد مسيحيي مصر أقلية في هذا الوطن، والتعامل والتحدث عنهم على هذا الأساس المنقوص المراد به الفتنة وخلق الفرقة.. الإحساس بالظلم والقهر موجود ومبرر ويقيني، لكنه ضد المواطن.. ليس فقط ضد المسيحي أو المسلم! احسبها صح.. تعيشها صح!

يحكي (ألفريد وايزمان) في مذكراته - وهو من أقرب العلماء إلى (أينشتاين) - أنه كان متألما طوال حياته لهذا الدمار الذي حلّ بالبشرية، فظل يقول في أواخر حياته: "لا سبيل لنجاة البشرية إلا بالعودة الجماعية إلى الله"!!

ومن هنا لا سبيل لدينا للنجاة.. إلا بالرجوع إلى مفهوم ومعنى الوطن.. الوطن.. وفقط!

زنقة .. حدثت بالفعل



آخر مرة رأيته فيها كانت منذ سنتين.. لم أدرك أنّ سنتين قد مرتـا سـريعا - بحلوهما ومرهما - إلا عندما وقعت عيناي على عينيه الزرقاوين، علـى بشـرته وشعره الأحمر.. (جزرة).. هكذا يبدو وهكذا ندعوه. اسمه الحقيقي (محمـود). أحدث (جزرة) فرقًا فى حياتي، علّمني كثيرًا وتحدثنا سويًا كثيرًا, كان "ترمومتر" كفاءتي في كوني فرد فاعل في مجتمعنا وقتها.. كنّا نعمل سويًا في نموذج للطلاب فى كلية السياسة والاقتصاد.. في البداية كان أستاذي ثم تدرجت فى النمـوذج إلى أن اصبحت زميلًا له، وفي تلك الفترة اقتربت منه وأصبحنا صديقين جيدين جدًا، إلى أن جاء ذلك الصباح الذي اختفى فيه (جزرة) دون أن أدرى سـببا لذلك, ودون وداعٍ ولا حتّى "ميسد" على "الموبايل".. ظلّ مختفيًا، ومع الوقت قَنعتُ بأن دوره انتهى في حياتي، إلى أن رأيته اليوم، وذكرني بما مضى عليه اليوم سنتان تقريبا..كيف نسيت هذه الحادثة كلّ هذه المدة؟!

في يوم من أيام الخميس، بعدما انتهى اجتماعنا الأسبوعي لمناقشة وتقييم أدائنا في النموذج، قررنا أن "نتمشى" أنا و(جزرة) من الجامعة إلى منزله فى أول شـارع (فيصل)، وكعادتنا نتكلم في كل شيء وأي شيء.. الشائق أن نظرتنا للأشـياء

كانت دوما تختلف قليلًا عن نظرة الأغلبية, نحن أنفسنا كنا نختلف قليلًا عن الأغلبية.. لم يكن بالضرورة الاختلاف الجيد، لكنّه كان مجرّد اختلاف!.. لا هو جيدٌ ولا سيء.. وسط الثرثرة ومحاولاتنا لاكتشاف أسرار الكون والحب والحياة.. قطع كل أحبال أفكاري عندما قال:

- "ياض يا (شنو)! نفسي أدخل كنيسة"...
- *هو انت ما دخلتش كنيسة قبل كدة"؟!*
- "لأ"..
- *"طيب يا عم، وإحنا ماشيين كدة ممكن أدخلك كنيستي.. هي قريبة"..*
- "وعادي كدة؟ ممكن أي حد يخش"؟!
- *"آه يا عم.. وبعدين إنت معاك (شنّو)! يعني نفوت في الحديد إن شاء الله"..*

على حد علمي – ساعتها – "إنه عادي"، وليس هناك مشاكل في أن يدخل مسلمون كنيسة، لأنهم في الأفراح ومناسبات العزاء يدخلون بلا مشاكل!.. أخذت (جزرة) إلى كنيستي وكلّي فخرٌ وحماس؛ فقد شعرت أني أسدي إليه خدمة جليّة، وبهذا سألعب دورًا ليس بالصغير في شريط أحداث ذاكرته.. في الطريق حكيت له عن المساجد التي دخلتها طوال حياتي، ومعظمها كان أثريا، وأفصحت له عن أمنيتي فى حضور خطبة الجمعة في جامعٍ كبير، وكم سيكون ذلك لي بمثابة المغامرة الكبرى!.. المهم، وصلنا لباب الكنيسة الحديدي الضخم

وسلمت على عم (ر) الجالس عند الباب لحراسته، فسلّم عليّ وقال (لجـــزرة): "هاللوه!" بلكنته الصعيدية، فقد اعتقد أنه أجنبي بسبب شكله الأصهب.. أمّــا (جزرة) – الله يستره – فلم يفتح فمه! فقط.. لوّح لعمّ (ر) وابتسم مـــذهولًا، تعلو وجهه نظرات (أليس) في بلاد العجائب، أول ما وطئـــت قـــدمها بـــلاد العجائب.. نظر مليًا إلى حوش الكنيسة – وربّما كانت تلك المرة الأولى الـــتي يرى فيها هذا الكمّ الخرافي من المسيحيين في مكانٍ واحد – وأعتقـــد (وأكـــاد أجزم) أنه شعر بمزيجٍ من الوحدة والاستغراب من هؤلاء البشر داخل الســـور؛ فالمسيحيون في الكنيسة يختلفون عنهم خارجها.. جذبته من ذراعه إلى فوق حتى لا يتوه عقله وسط الزحام.. صعدنا السلّم الرخامي إلى أن وصـــلنا إلى بـــاب الكنيسة الحقيقي(3).. دفع الباب الخشبي الهائل ناظرًا إلى الـــداخل في ذهـــولٍ (تسلل إليّ بطريقةٍ ما).. جعلني أشعر أني أرى كنيستي لأول مرة أنا أيضًا..كم هي كبيرة ودافئة.. اثنا عشر عمودًا من الرخام، يحملون سقفًا مرسومًا بعنايـــة، يتدلّى منه نجف بحجم هائل يبعث بنوره الأصفر إلى كل أركان الكنيسة، يضيئها ويبرز عراقتها.. وفي المنتصف حجاب الهيكل، تعلوه صورة السيد المسيح فاتحًـــا زراعيه مصلوبًا.. فجأةً يقطع اللحظات التأملية الذهولية – إن جاز التعـــبير – رجل يوزّعُ أوراقًا تحتوي على تأمّلات ونبذةٍ عن موضوع درس اليوم؛ فـــاليوم كان الخميس، وهو ميعاد درس الكتاب المقدس في كنيستي.. أعطى الرجل كلًا مناً ورقةً، ودخلنا لنجلس في آخر الصف على يسار الباب، ورأى (جزرة) ثاني أكبر تجمُّع مسيحي في يومٍ واحد بعد التجمّع الأول في الحوش، فقـــد كانـــت

(3) باب الكنيسة اللي على الشارع ده مجرد باب الحوش، لكن باب الكنيسة نفسه جوة.

الصفوفُ ممتلئةً عن آخرها.. أخذت الورقة من يد (جزرة) في حركةٍ سريعة أشبه بحركات "النينجا" لكي لا يقرأ ما فيها.. يخاف معظم المسيحين من تهمة "التبشير"، وهي تهمةٌ – صدقني – يعاقب عليها القانون، أو قل "رجال القانون".. هذا إلى جانب أنّي أحب كلّ شيءٍ كما هو.. لا أريد تغيير أي شيء في أي شيء أحبه.. ولا حتّى للأفضل!.. فلو تغير الشيء ربّما أحبه أيضًا، لكنّه لن يكون حبّي القديم، لذا أفضّل أن يكون كل شيءٍ كما هو..

بدأ دكتور (م) الحديث عن شيء لا أتذكّر ماهيته تحديدًا، لكنّه كان جيدًا.. وعلى ما أتذكر، فإن (جزرة) لم يضايقه الكلام..

وفي هذه الأثناء مرّ بجانبي هذا الجلباب الأسود الذى أعرفه جيدًا, إنه جلباب أبونا (س).. أب اعترافي.. اليوم هو الخميس!.. الخميس.. "يعني معاد اعترافي".. اللعنة!..كيف سأهرب الآن؟!.. وهذا ليس بالكاهن العادي فأبونا (س) معروفٌ بقوته وصرامته التي تصل إلى العنف أحيانًا – أحيانًا كثيرةً في الواقع –.. أتذكّر في أولى جلسات اعترافي معه أنّي اعترفت بخطيئةٍ ليست بالصغيرة، فرمقني بنظرةٍ ثقبتني لتتوبني فى مكاني.. لا أعلم لماذا اخترته كأبِ اعترافٍ لي من البداية، لكنّي أحبهُ كثيرًا.. هو طيب جدًا وما عنفهُ إلا صرامة ورفض للحال المائل.. لكن!.. كل هذا لا يحل مشكلتين: الأولى، كيف سأهرب من الاعتراف اليوم دون نظرات تأنيب الضمير؟!.. والثانية، كيف سيهرب (جزرة) دون أن يتمّ اكتشافه؟!

انتظرت قليلًا والتوتّر يعتصر مثانتي، إلى أن ذهب أبونا إلى النصف الأيمن من الكنيسة ليأخذ اعترافات السيدات.. وكالعادة اعترافاتهنّ تأخذ وقتًا أطول بكثير

- وهذا دون أي مبالغةٍ أو مزاح! - فاعتراف السيدة الواحدة يأخذ وقت ثلاثة رجال.. لذا، فعندما ذهب أبونا إلى نصف السيدات اعتقدت أن هـــذه هـــي اللحظة المناسبة للتسلل خارجًا، فسحبت (جزرة) من يده قائلا:

- ياللا بقى عشان مانتأخرش..

اللطيف أنّه كان يريد أن يجلس وقتا أطول، لكنّه قام على أيةِ حـــالٍ، واتجهنـــا بخطوات ثابته سريعة إلى الباب الخشبى الضخم، وعيناي مثبتتان على "الأُكرة"، وكأنها "أُكرة" باب الحمّام بعد زنقة السفر فى ميكروباص "مافيهوش حمّام"!

في جزء من الثانية يظهر من بين الناس أبونا بالجلباب الأسود!.. ناظرًا نحـــوي مبتسمًا مادًا يده إلى بالصليب أقبلها[4]!!

تخيل بعد أن تفتح "أُكرة" باب الحمّام لتجده "حمّام بلدي" - وأنت شابٌ فرفور "موت موت موت"!! -.. انحنيت أقبّل الصليب ويد أبونا، وأطلْت القبلة حتّى أعطى (جزرة) الوقت الكافي للهرب، لكني عندما انتهيت وجدته مازال هناك ينظر - وبراءة الطفولة في عينيه - إلى أبونا (س).. مدّ الكاهن يده إلى (جزرة)، وهنا اختفت كل تفاصيل المكان بصورهِ بنجفهِ بصوتِ دكتور (م) "بســـلاطاته ببابا غنوجه"!.. لم يبق واضحًا أمامي سوى منظر (جزرة) وهو يمد "يده" ليسلّم على يد أبونا ويهزُّها في مصافحة "عادية خالص"، وعلى وجهه - وجه (جزرة) - نظرة "نايس تو ميت يو"[5].. رجَع أبونا خطوة للخلف متأملا ذلك الشاب

---

[4] يقبل المسيحيون يد الكاهن لأنه فى إيماننا يمسك الجسد والدم المقدسين.. يرفع الصلوات لله فتلامس يداه أقدس المقدسات المسيحية، فنحن لا نقبل يد الفرد بل ما تمسك به تلك اليد.

[5] Nice to meet you

الأصهب في تعجب، ثم مال عليّ وسألني: "منين ده؟!" ظنًّا منه أنّه أجنبي أيضًا.. وأثناء ذلك هرب (جزرة) فعلًا..

آهـخ يا ابن الـ... "ما كان من بدري"!!...

- "منين ده؟!"...

قلت:

- "لا.. ده.. (محمود)"..!

لا أتذكر كثيرًا إلا تلك النظرة التي رأيتها "مرة زمان".. ثم قلت:

- "هابقى أشرح لقدسك بعدين"..

قفزت خارجًا ومن هول الراحة التي أحسست بها كنت في نشوة كالسكران، أضحك ضحكا هيستيريا، وأقفز من على الأرض فرحًا بالنجاة من "الشلح"[6] المؤكد!! أو على الأقل نجوت إلى الآن.

خرجنا - أنا و(جزرة) - من الباب الحديدي إلى الشارع.. لم يكن يخفى على أحد مدى السعادة التي اعتلت وجهينا، يومها لم ألعب أنا فقط دورًا كبيرًا في شريط أحداث ذاكرة (جزرة)، هو أيضًا أعطاني ذكرى من المفروض أنها لا تُنسى.. ولا أعلم كيف نسيتها!!

---

[6] عندما يُعفى كاهن من الخدمة ككاهن يسمى هذا بالشلح، وهذا يختلف كثيرا عن التشليح طبعًا.

لاحقًا.. ذهبت لأعترف لأبونا الاعتراف الذي هربت منه يومهـــا، وقـــال لي ليست هناك مشكلةٌ في دخول المسلمين الكنيسة، لكن هذا يجب أن يكون بعلم أحد الكهنة حتّى لا تحدث مشكلة من أي نوع.. وعندما يُســـمحُ بـــذلك، لا يكون لحضور اجتماعات.. وأكملت اعترافي وصلّى لي أبونا كما هو طقـــس الاعتراف.. ومرت تلك الحادثة على خير.. الحمد لله!

***

الأحداث حقيقية.. الوصف وجهة نظري الشخصية، كما رأيتها..

.. سوري! .. ياللعنة ..!(Shitt Happens)



لا تخلو حياة كل منّا من بعض - إن لم يكن كثير - من اللزوجة.. تجـــدها في المكان والزمان والأشخاص والأفعال.. بطبعها لا تتخذ شـــكلا ثابتـــا، فقـــط إحساس يتسلل إلى داخلك ليقتل شعورك بالبهجة والطمأنينة ويحولـــه بســـرعة شديدة إلى كميةٍ تملأ جالونات من "القرف"، الذي - إن اســـتمرّ قليلًـــا - لا يمكنك بأي حال أن تحمي نفسك من فعل "الترجيع" أو "الطرش"! وأعترف أن هذه الكلمات تتسم أيضًا باللزوجة!!.. "بجمْلِةْ"!

لا يخلو البيت من الأفعال والتصرفات اللزجة، ربما من أقرب الناس إليـــك.. لا تخلو الجامعة ولا الشارع ولا النادي من "البني آدمين" الذين يتحركون في قوالب من اللزوجة.. أولئك القوم الذين يبنون المساجد وكأن الغرض منها أن يصطف عليها طالبو الصدقات وشحاذو الحسنة القليلة.. وأولئك القوم الـــذين يبنـــون الكنائس من أجل العند في الدولة وأهالي القرية التي تتعنّت في الموافقـــة علـــى وجود كنيسة.. بينما نحن في الحقيقة نحتاج لبناء مستشفيات ومدارس، وبيوت تأوي سكان المقابر لمقاومة ذلك الإحساس شديد اللزوجة - أو ربما تعدى هذا الوصف بكثير - الذي يقتلك - إن كان عند أهلك دم - عندما تعلـــم بـــأن

مريضًا توفّي لأنه لم يجد سريرًا بالمستشفى، أو أن طفلًا حُرم من التعليم لأنـــه لا يجد مدرسة داخل القرية ولا يملك أهله ثمن توصيله للمدرسة في القرية المجاورة، أو ذلك العدد – الذي يزيد عن المليون نسمة – من تعداد هذا الوطن الـــذين يسكنون المقابر، وعدة ملايين أخرى مأواها رصيف الشارع!!

لم تترك اللزوجة شيئًا إلا وقد تسربت إليه، حتى التكنولوجيا الحديثة لم تســـلم منها.. خاصةً عندما تفتح الـــ"تي في" لتجد ذلك الكم من برامج "التوك شـــو" والتي تأتي تباعًا في ساعات الليل الأولى، لتبدأ كتل عظيمة من اللزوجة تنساب تدريجيًا، فلا تخرج المناقشات عن ما حدث في مبـــاراة (الجزائـــر) أو حـــديث المخرجة والتي تخرج كثيرًا من الأشياء اللزجة تطلقها في كل اتجاه، وآخرها تلك الدعوة لإطلاق تراخيص لبيوت الدعارة.. أو رجل الدين الذي يطلق فتـــاوى لزجة لا تراعي زمانًا ولا مكان.. أو مشكلة اللاعـــب (جـــدّو) مـــع نـــادي (الزمالك)، ثم يتطرق الحديث إلى خناقة (مرتضـــى) و(شـــوبير)، ثم مسلســـل (زهرة) وكيف تمّ عرضه في شهر (رمضان) مع تضمنه كل هذه الأعداد مـــن السيقان العريانة.. ويتدرج الحديث أيضًا إلى أن يصل إلى ثقل دمّ (هند صبري) في التمثيل لأنها غير مصرية، ولا يجوز لغير المصري أن يقوم بأدوار الكوميـــديا للاعتقاد القائم بأن المصري "دمّه خفيف".

لم يسلم أيضًا موقع (الفيسبوك) الشهير والذي أنشأه (مارك جوكربيرج) مـــن "البروفايلات" و"الجروبات" و"الفان بيجز" اللزجة.. وتعرفها تلقائيًا بمجـــرد أن تقع عيناك على اسم "الأكونت" الخاص بالشخص اللزج بالفطرة على الموقـــع

الشهير، فلن تختلف معي عزيزي على أن "أسير الروح"، "الطائر الجريح"، "عابر الصحراء"، " أمير القلوب"، "كلـــبظ فريـــدوم"، "فرانـــك لاف"، "بـــرنس الخلفاوي"، "نودا الأمورة"، "بوسي كات" هي أسماء سميتموها أنتم وأقرانكم – أتباع الفكر اللزج – ما أنزل الله بها من سلطان!.. وإن التبس عليك الأمر، إذا ما وجدت "أكّونتات" أخرى لا سَمَح الله تحمل أسماءً مثل "أحمد" أو "دينـــا" أو "بطرس" أو حتى "جاكلين" فخطوتك القادمة هي النظر إلى "البروفايل بيكتشر"، فإذا وجدتها تحتوي على صورة لشخص (تامر حســـني), (دومينيـــك), (أبـــو الليف), (مهند) أو (نور), (إدوارد كولن)أو (بيلا سوان) – من Twilight – أو حتى صورة الشخص صاحب "الأكونت" حاملًا للجيتار "بالمقلوب"، وينظر إلى اتجاه يجاور عدسة الكاميرا بنظرات حزن ورثاء علـــى فـــراق الحبيـــب، أو صورته وهو "لابس بدلة في فرح ابن خالته"، أو"ساند على عربية مرسيدس أو بي إم مش بتاعته", ستتساءل: ومن أين لي أن أعرف أنه هـــو ذات الشـــخص صاحب "الأكّونت" اللزج ذاته؟ سأجيبك بأنك سوف تعرف.. هـــذه أشـــياء تُحَس ولا أملك شرحها، لكن ياستطاعتي أن أعدك – وإن شا الله تعـــدمني في هذه الأيام المفترجة – لو ما عرفتش..!!

وإن كنت شخصًا من النوع "الشكّاك" أو المتر د و لم تتيقّن بعد مـــن أمـــرك، فملاذك الأخير والقاطع سيكون "الاستاتوس"، لم يبدع أحد كما أبدع الكائن اللزج في استخدام "الاستيتوس"، فستجد "استاتوسهات" من نوع:

- "هل تعلم أن عندما يؤذن أذان المغرب... يفطر الصائمون!"

- "خير تعمل... شرق الدلتا"..
- "اللي يقول التدخين غدار.. ينضرب بالنار"..
- "كوز المحبة اتخرم طرطش على كمي.. يا حلو بطل دلع وارحم عذاب أمي"..
- "وقف الخلق جميعًا ينظرون كيف أغير الـــ status على الفيس بوك كل يوم وحدي"..
- "قلتلها ما عُدتش طايقك, بس مش عارف أعيش من غيرك.. بس يا سيدي وقامت معيطة".. (وكل ما يُذَيّل بجملة "بس يا سيدي وراحت معيطة")..
- "يبحث عن امرأة لعلاقة جادة 018251619"..
- "أنا لو عنيا تشوف غيرك أنا مش هافتحها.. وأي كلمة حلوة مش منك مش هاسمعها"..

أو كل ما يحوي كلمات من إبداعات للمشعر (تامر حسني) أو (أسامة منير سقراط)، أو حِكم "توكتوك ستايل".. وإن اجتهدت في المتابعة ووجدت الحالة الاجتماعية تتغير إلى "in relationship"، ثم بعدها بساعات قليلة - أو في اليوم التالي - تتحول إلى "سينجل" من أجل استقبال "الكومنتات" من عينة "هوّ الخسران", "مسيرك تلاقي أحسن منه", "بصي حواليكي هاتلاقي ناس تانية بتحبك"، "ده واحد جاحد ومش مقدر النعمة اللي في إيده" كنوع من تحفيز الذات أو ما يسمى بالـــ "سيلف موتيفيشن"، أو محاولة إقناعك من خلال هذا

الفعل اللزج أنها ليست بضاعة "بايرة"، أو لإغاظة أحد الأشخاص ممن قد تلفظ لها بكلمة "بحبك" أو علمت هي من مصادرها الملتوية بذلك.. أو "كومنتـــات" من عينة ":D"، بالإضافة لعدد كبير من علامات "اللايك" علـــى "اســـتاتوس" تحمل كل معاني اليأس، وربما تجدها على "استاتوس" من نوع "يارب خـــدني.. نفسي أموت".. لا أدري من أين جاءت إلينا هذه اللزوجة التي تجرف أمامهـــا الأخضر واليابس!

منذ دخول الكائن اللزج تلك المملكة وهو في بحث دائم عن "المزة" عن طريـــق "السيرش"، والذي يعطيك كل "الأوبشتر" كأن تختار سن وبلد ومقاس "المزة".. ومنهم من يستخدم أفكارًا تتسم بنسبة أعلى في الذكاء عندما يضيف "ذكـــرًا" مثله، إما لصفته الشاذة لا قدر الله، أو لأنه عندما يضيف "المزة" من عند هـــذا الشخص ستجد صديقها الأصلي "إن كومون" وبالتالي ستَتسهُل الأمور كثيرًا في اكتساب الثقة ويليها الفوز بالـــ "أكسيبت"، وبعيدًا عن هذا الذي يحدث مـــع "المزز" داخل بروفايلك فالأولى والأجدر هو خوفك على ما يمكن أن يحدث لك وبك إذا صادفتك الأقدار وجاء بك الحظ ووقعت في رحلة بحث سيدة أعمال لزجة أيضًا من قاطنات نوادي الهرم - والتي تعمل فترة مسائية فقط بعد الساعة 2 - عن عمل إضافي بعد الظهر من خلال "سيرش الفيسبوك" عـــن الشـــباب الهائج والمحروم والمكبوت جنسيًا.. "الفيسبوك" مناخ وبيئة مناسبة جـــدًا لهـــذا العمل الشريف لسيدات الأعمال من ذلك الصنف، والذي بدأ في الزيادة طرديًا مع ازدياد نسب العنوسة والبطالة ونزول طبقة كبيرة من الشـــعب إلى أســـفل سافلين، إلى منزلة "أوطى" بكثير من تلك المصنفة بـــ "تحت خط الفقر".. لست

مجبرًا على قبول طلب الإضافة، لكن النفس أمارة بالسوء والوقاية خـير مـن العلاج!.. لا بد من إجراءات وقائية بتشديد بعض أوامـر الحمايـة في الـ "برايفسي" وعدم "أكسبيت" أي دعوة إضافة من أي شخص لا تعرفه يقينًا.

إنه اختراع لعين ذلك المسمى بالـ "فيسبوك شات".. واللعنة هنا واجبة لعـدة أسباب، أولها أنه "بيهنّج" دائمًا، وثانيها أنني أمتلك ما يتعدى ثمانمائـة نسـمة داخل "أكاونت" الفيسبوك، فمن البديهي أنك عندما تكون "أونلاين" سـتجد على الأقل ما يقرب من خمسين إلى ستين من أفراد هذا الشعب في أوقات النوم وما يزيد عن مائتين في أوقات الذروة.. مشكلة هذه الأعداد أنهـا في وضـع استعداد دائم لإطلاق مدافعها بوابل من الشتائم القبيحة، ولا يسلم الأمر مـن "سبّ الدين" لأنك "واطي وما بتسألش" (بالمناسبة، لم يعد سبّ الدين يحمـل ذلك القدر من الوقاحة والاستنكار فقد أصبحت "دين أمّك" كلمـة دارجـة تستخدم أحيانًا للدلع ومؤخرًا أصبحت متَضَمنةً في الأغـاني)!.. اذهـب إلى "اليوتيوب" عزيزي لتبحث عن اسم الفنانة العظيمة صوت الجبل وصوت الرعد "منار محمود سعد" وأغنيّة "إوعى تسبّ الدين")، أو لأن "كان فيه ميعاد وما جيتش".. قد تدّعي – زورًا – أنك مش فاضي بينما أنـت الآن "أونلايـن"، وبذلك فأنت تمارس فعلًا يدل على الفراغ، بجانب بعض جرعات "الاستظراف" و"استخفاف الدم" – وهو ما تطوّر بلفظ الـ "قلش" – وأن تجد من يعبر لك عن حبه واشتياقه بجملة "حبيب دين أمّي"، أو "واحشني فشخ" (لا تسأل عـن المعنى إذا استعصى عليك فهم بعض الألفاظ، فـ"لا تسألوا عن أشياء إن تُبـدَ لكم تَسؤكم"!).. كل هذه العوامل وغيرها مما لا يُستَحب ذكره (نظـرًا لأن

هناك من لم يتعدَ سنّ البلوغ، أو أن هناك "بنات" من قراء هذه السطور) كافية جدًا للدعاء بتروٍ لعنة الرب على ذلك الـ "فيسبوك شات".

ولأنني من بني البشر – وهم من وهبوا عقلًا ناقصًا لم ولن يتسم أبدًا بالكمال، فالبشر وخاصة الواقع منهم تحت تصنيف "مصري" دائمًا ما يوقعه فضوله إما لاستكشاف جديدٍ يضيف إليه أو مصيبة ووباء يفتك به – فبرغم كل ما قد سبق من ضرورة أخذ إجراءات وقائية، إذا بي أجد طلب إضافة من شخص اسم الـ "أكاونت بتاعه": "سعد بن أبي وقاص".. هنا الحسبة تكون مختلفة..

الأمر غريب ومثير للفضول!.. يذهب أيضًا الكثير من القلق نظرًا لارتباط اسم الـ " أكاونت " بصحابي جليل كان من أوائل من دخلوا إلى الاسلام وهو أحد المبشرين بالجنة ومن أقرب الصحابة إلى النبي (محمد) – صلى الله عليه وسلم – مما يستبعد شبهة دخوله من أجل البحث عن "المزة" أو الارتباط الشاذ، أو علاقته بأية جانب من جوانب اللزوجة.. لكن!

لا أعتقد – في هذا الزمان أو في هذا البلد – بوجود أبٍ سماه الجد "أبي وقّاص"، مع عدم استخدام كلمة "بن" بين اسم الشخص وأبيه (لم نعتد هذا الأمر وليس هو بالشائع، بل أعتقد أن ليس له وجود من الأساس) ساقني الفضول اللعين إلى فتح "الفيسبوك شات"، فربما أصطدم بهذا الشخص لأحصل منه على إجابات تقتل هذا الفضول بداخلي – متجاهلًا رد فعل اللاجئين على هذا الشات والراصدين لمدافعهم بانتظار أمثالي لتوجيهها إليهم بالشتائم القبيحة، والتجاهل هنا عملًا بالمثل"الشتيمة بتلف تلف وترجع لصاحبها" وتجاهل سب الدين اقتناعًا بأنه سيؤدي بصاحبه إلى النار ومتجاهلًا "القلش" بغرض الحفاظ على الصحة

العامة وعدم ضياع حلم "الخلفة"، وابني "اللي نفسي أسميه (يوسف)" – وإذا بي أفاجأ بهذا الشخص يبدأني الحديث!!

سعد بن أبي وقاص: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

Mostafa Elsayaad: w 3.S

سعد بن أبي وقاص: نعم؟

Mostafa Elsayaad: w 3.S = w 3alikom el salam = "وعليكم السلام".

سعد بن أبي وقاص: هممممم.. فيه آية يا أخي في القرآن، فيما معناها "إذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها"، فعليك أخي العزيز أن ترد التحية بمثلها أو أفضل منها إن أردت زيادة في الأجر.

Mostafa Elsayaad: thanks a lot (F) bas enta 3aref facebook b2a w chat w masha3'el w kda fa el 7kaya t7eb el engaaz ;)

سعد بن أبي وقاص: أعتقد أننا من بلد إسلامي عربي.. أرجوك تكلم معي بلغة الإسلام وبالعربية.

Mostafa Elsayaad: ya pasha e7na 3alchat w hwa el islam leeh lo3'a walla nezel lel3arab bas!!? Anyway :@ hatklm bel3arby 3shan bas ne5ls l2an feh 7arb ganby enta msh shaiefha delwa2ty :S

Mostafa Elsayaad: كده كويس؟؟

سعد بن أبي وقاص: أشكرك أخي في الله.

nvm :**Mostafa Elsayaad**

Mostafa Elsayaad: آسف.. أقصد: العفو!

Mostafa Elsayaad: عندي استفسار بسيط عن "سعد بن أبي وقاص" هل أبوك أبي وقّاص وأنت سعد؟

سعد بن أبي وقاص: اسمي الأساسي معتز.. لكن أحب أن أنادى باسم صحابي رسول الله.. رضي الله عنه وأرضاه.

Mostafa Elsayaad: بارك الله فيك يا أخي.. لكن بيتهيقلي إن ده مش لذيذ قوي يعني!! لازم تعتز باسمك وحلو إنك تقتدي بناس كويسين.. لكن لو هي كده كان أولى كل الصحابة سموا نفسهم محمد!!

Mostafa Elsayaad: عمومًا مش مهم!! استفسار آخر لو ممكن ولو كلامي ما ضايقكش..

سعد بن أبي وقاص: تفضل أخي في الله..

Mostafa Elsayaad: ليه ضفتني على الفيسبوك؟؟

سعد بن أبي وقاص: لقد أنشأت صفحة لنصرة دين الإسلام وأسعى لجمع أكبر عدد ممكن من المسلمين في هذه الصفحة لنصرة الإسلام والمسلمين ضد أعدائهم..

Mostafa Elsayaad: بارك الله فيك يا أخي.. طيب إيه هيّ الصفحة دي وبتتكلم عن إيه؟؟

سعد بن أبي وقاص: الصفحة بعنوان "تحداني مسيحي أن أجمع 1000000 مسلم على الفيسبوك في خلال أسبوع".. فتحرك معي أخي لنصرة دينك ولتتحرك غيرتك على رسول الله وجهادك من أجل رفعة دين الإسلام.. ساهم معي في إنجاح الصفحة وجمع عدد كبير من المسلمين..

Mostafa Elsayaad: !!

Mostafa Elsayaad: ممكن تحكيلي عن باقي أعمالك الجهادية لنصرة الإسلام على الفيسبوك يا أخ ابن أبي وقاص؟؟

سعد بن أبي وقاص: في الحقيقة أنا مقصّر.. وأخشى من تقصيري وما سيجرني إليه عند المسألة أمام الله عز وجل.. كل ما أستطيع الجهاد به هو صفحات على "الفيس بوك" لجمع أكبر عدد من المؤيدين للنبي محمد والقرآن هو أفضل كتاب وأشياء من هذا القبيل..

Mostafa Elsayaad: بارك الله فيك يابن أبي وقّاص.. عندي سؤال تاني لو ما يضايقكش..

سعد بن أبي وقاص: تفضل يا أخي وليس عليك حرج!..

Mostafa Elsayaad: وده نصرة للدين إزاي يعني يا أخ ابن أبي وقاص؟؟ وبعدين عدوك مين اللي هاتنتصر ضده؟

سعد بن أبي وقاص: نصرة دين الإسلام ضد هذا المسيحي الذي تطاول على المسلمين ووصفهم بالفرقة وأنهم ضعفاء.

Mostafa Elsayaad: يعني هو فعلًا تحداك؟

سعد بن أبي وقاص: لم يتحدث بها صراحةً لكنني أعلم يقينًا أنها تدور بعقله هو وكثير من أمثاله.

Mostafa Elsayaad: يا أخي إنت دخلت عقله منين؟؟ إنت كده بتضر بصورة دينك مش بتنصره!! من إمتى كانت الحكاية منافسة؟؟ ولو ما جمعتش العدد؟! يبقى كده دينك وحش وهو اللي فيه الغلط؟ ومن إمتى كان عدد المنتمين للديانة بيحكم إن هي الديانة الأصل ولا لأ وإنها هي اللي هاتدخل الجنة؟؟ على كده أتباع بوذا هم الصح وكلنا في النار!

سعد بن أبي وقاص: يا أخي تأدب مع الله ومع رسول الله في الحديث وتحدث بشكل لائق عندما ندخل في أمور الدين.

Mostafa Elsayaad: أنا باتكلم معاك يا عم مش مع ربنا ولا مع النبي محمد!

سعد بن أبي وقاص: اللهم قد بلغت اللهم فاشهد.. اللهم انصر دينك على أعدائك.

Mostafa Elsayaad: ياعم سعد ولّا معتز إنت ليه محسسني إنك في حديث وجدال مع أبو لهب!

سعد ابن أبي وقاص: offline

ثم أتبعني بشرف الوضع في خانة الــ "بلوك ليست" وأتبعه بالـــــ "ديليـــت".. وماحدش فاهم حاجة.. وبعد هذه التجربة اللعينة.. زاد خوفي علـــى مصـــير (يوسف).. رفضت طلب إضافةٍ آخر من "أكونت" يحمل اسم "يوحنّا بطرس" خوفًا من حوار بيزنطي جديد يحمل في طياته دعوةً للانضمام لصفحة " تحداني مسلم أن أجمع 1000000 مسيحي خلال أسبوع".

Shitt Happenss!!

سوري

يااللعنة!

آيات السماء



يستقر المترل الطيني القديم على حافة النهر بخلفيةٍ من الجبال المتعرجـــة.. هـــي الصفة التي ميزت السطح في هذه القرية الصغيرة.. طبيعة جميلة وساحرة غذّت أرواح أهل هذه القرية الممتدة على طول السفح الجبلي، فخلقت أرواحًا تحمل عذوبة نهر النيل وصفاء اللون الأزرق المنعكس على سطح النهر من السماء.

هذه الهبة الربانية للقرية والمتمثلة في طبيعتها المتفردة فرضت أيضًا على أهلـها العمل في مساحة صغيرة غير قابلة للتوسع.. خمسة آلاف شخص هـو تعـداد سكان قرية "قرارة"، معظمهم يرتبطون بصلة دمٍ وقرابة.. مصادر كسب الرزق محدودة.. حياة بسيطة تقترب من بدائية الخلق، تناسقت مع الطبيعة التي تحتويها، وهي من رفض أهلها العبث بها.. البيوت من الطين والطوب اللبن، جميع أواني الطعام من الفخار، العمل يرتبط بحياة النبـات في الأرض الزراعيـة أو مـوت الإنسان وسكنه التراب.

شريط طويل من محيط القرية يحيط بالسور الطيني لمقابر المسلمين مـن القـرى المجاورة، تلتصق بها مقابر للمسيحيين الأرثوذكس.. الأرواح الطاهرة ذات المس الملائكي التي سكنت أجسادهم خلقت اتصالًا فريدًا يـربط الأرض بالسـماء والحياة الدنيا بالآخرة.. الأديان هناك لا تفصلها مسافات بعيدة.. جوهرها هو ذاته في المعاملات وهدفها متوحد للوصول إلى رقي الإنسان ووضـع دسـتور

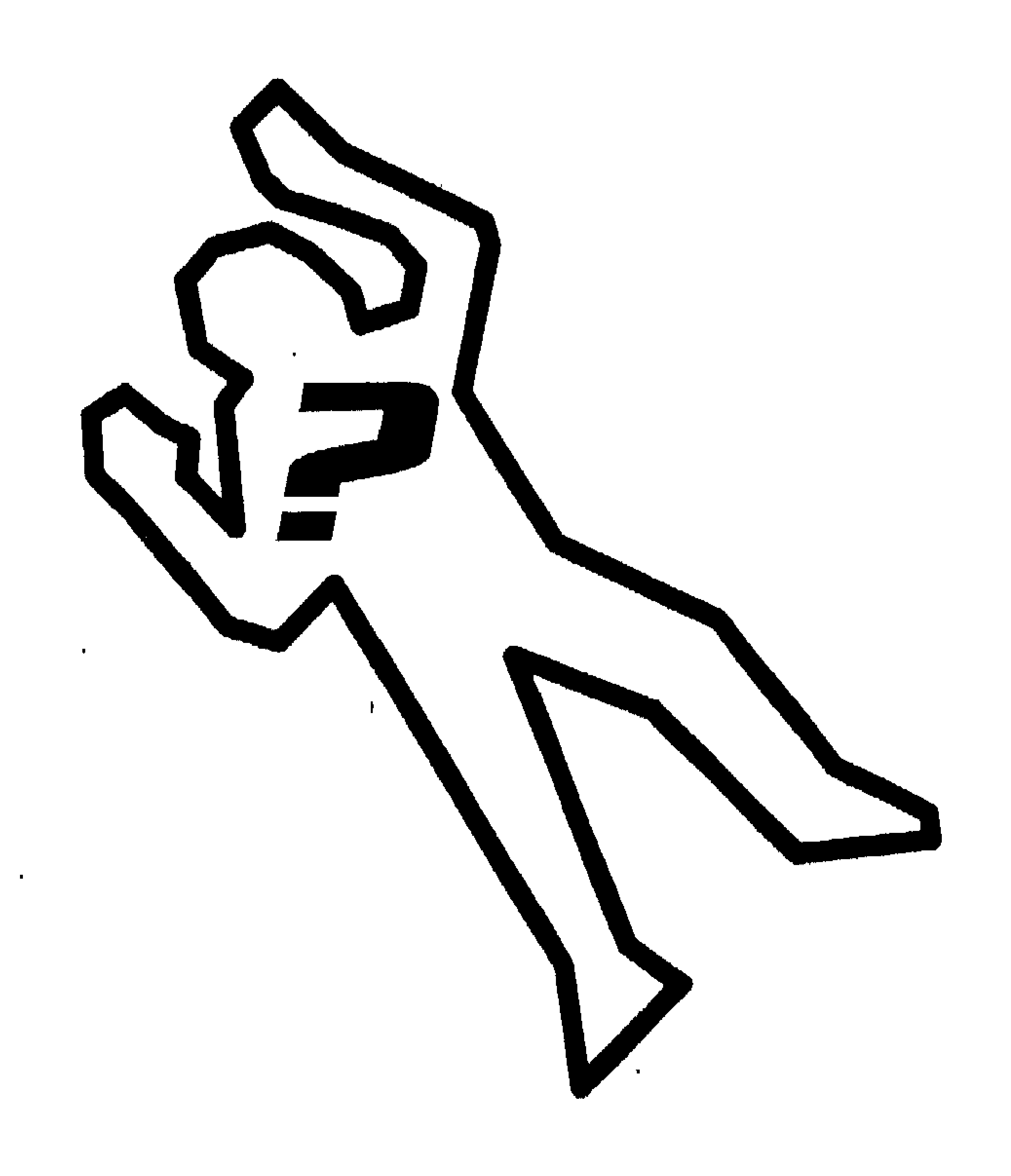
للأخلاق.. أهلها يحفظون رسالات السماء وهو الاسم الذي ارتضوه للقـــرآن الكريم.. يحفظونه بإتقان ولا يعرفون لمن.. فقط هي رسالات السماء!

يستيقظ الطفل (رامز ملاك) ببركة صوت أذان الديك فوق ســطح المــترل.. يستمد طاقته بنظرات تأمّلٍ من نافذة المترل على الطبيعة في الخارج في ســاعات السحر.. يرتدي الثالوث الأبيض "الجبة والقفطان والجلباب".. يحمل قفته المثقلة بالفطير والخبز.. دأبت أمه على تحضيره طوال الليل..

يشلح جلبابه الأبيض.. ليستطيع القفز متجاوزًا السور على حافة القرية، يستقبل المشيعين من زوار المقابر..

عمله الذي يتقنه وأقرانه من دفعته..

تلاوة أيات السماء على مقابر المسلمين..



علي العدل

"بعضنا يتذكر بالتحديد ما هي اول ذكرى له في هذا العالم القاسي .. نقطة بداية الذاكرة, النقطة اللتي انطلقت منها حياتنا كبشر ذو وعي و ادراك .. بعضنا يتذكرها واضحة جلية حادة ومثقلة حتّى أنه يتذكرها كأنها حدثت البارحة و بعضنا الآخر يتخبط بين تحديد ما هو أول شيءٍ يذكره في حياته, أكان هذا ام ذاك ؟!! .. بالنسبة له على حسب رواية عن والده .. كانت تلك اللوحة الذهبية المعلقة عند بائع عصير القصب امام المترل هي اول ما نُقش على ذاكرته"

كتب هكذا في دفتر الملاحظات و دفعه بعيداً في ركن المكتب الأيسر تحت الاباجورة القديمة, مدّ يده ليتناول رشفةً من قهوته ثم داعب شاربه ليمحي آثار القهوة المتبقية عليه, فتح الدرج السفلي وأخذ الأجندة الصفراء بحرصٍ تحت نور الأباجورة وفتحها ليقرأ كل شيء منذ البداية كما يحكيه ذلك المسكين الصغير بيتر ب. م.

مذكرتي العزيزة ..

أكتب اليك لأول مرة .. أكتب اليكِ .. لا أعلم تحديداً ما الفائـــدة مـــن كتابتي تلك!, فقط أفعل ما طلبه مني "أونكل" سامح صاحب بابا, اقتـــرح عليّ ان أكتب مذكراتي .. فقد أقنعني أنّه مهتمٌ بي ومهتمٌ بأن أدون كـــل شيءٍ يحدث في حياتي بالتفصيل حتى أرى كيف كنت أفكـــر في الماضـــي وأتمكن من قياس مدى تقدمي في الخبرة و في الحياة وبصـــراحة اعجبـــتني الفكرة وأريد أيضاً أن أرضي "أونكل" فهو شخص ودود و أحبُّ الكلام معه ومن الواضح أنه يحب الكلام معي .. فهو يتكلم معي كثيراً مؤخراً لذا أخذت أجندة من " بابا " وسوف أكتب فيها كل أحداث اليوم.

بدأت أحس بمشاعر اعجاب بالفكرة .. لكن " أونكل " سامح يصـــرُ أني يجب ان أبدأ بأهم ما أذكره من حياتي الماضية و يصرُّ إصراراً شديداً علـــى أن أكتب كلّ شيءٍ يتعلّق بـــ"علي" صديقي العزيز, فهو يهتم به اهتمامـــاً خاصاً و دائماً يسأل عن ما اذا كنت أراه أو أتكلم معه أم لا! .. يخـــبرني أيضاً أنّهُ يودُّ لو يقابله لكن المشكلة أن (علي) خجول ولا يحب مقابلة أى فردٍ من عائلتي و حاولت معه مراراً لكنه عنيدٌ مثلي.

المهم .. أول حدثٍ أريد أن أكتبه واذكره بشدة هو مشـــهد البدايـــة في المدرسة الجديدة .. شدتني أمي الى باب المدرسة ومن كثرة بكآئي لم أعد أرى أي شيء .. سلمتني الى " الدادا " و "شخطت" فيّا "بـــلاش دلـــع",

أخذتني "الدادا" الى فصلي "خامسة تالت" دخلت و لم تكن عينـاي قـد جفت من الدموع بعد, انتهت الحصص الأولى و لم تفارق رأسي الدكة .. أسمع بقية الاولاد يهزؤن بى " العيل اهو العيل اهو " لأن عيني لم تفـارق البكاء .. لم أفهم لماذا قررت أمي فجأةً تغيير مدرستي و أرغَمَت أبي علـى هذا القرار كالمعتاد ..المهم انتهت الفسحة وكان فعلي الوحيد خلالها هـو احتضان العارضة الحديدية "للجون" في الفنـاء .. لا أتحـرك و أتظـاهر باللامبالاة اتجاه الاولاد المتقافزون حولي يرددون الصياحات و الشتائم.

كان يوما لعيناً, انتهت الفسحة وكانت حصة الـدين هـي ألاولى بعـد الفسحة, ذهبت مع بقية الزملاء المسيحين الى غرفة المجالات حيث نتلقـى حصة الدين, أول ما تلفظ به أستاذ "ميشيل" هو "انتوا اعقدين جنب بعض يا عيال ولا لأّ !؟؟ لازم تتعودوا تكونوا جنب بعض وملكمـش دعـوة بالناس التانين هه !! .. فاهمين ولا لأ !,لو حد قاعد جنب حد مش أخوه يقوم يقعد جنب حد من اخواته .. احنا "مالناش" غير بعـض لم افهمـه تحديداً لكن انتهى اليوم اخيراً و أتت أمي لتأخذني الى البيت و لم يُمحى من ذاكرتي ذلك المشهد عندما كنتُ أقفزُ والدموع في عيناي .. أتوسل اليهـا الرجوع لمدرستي القديمة .. لكنها لا تسمع ولا تتفوه إللا بـــ "مـاهي عمايلك هيا السبب ,اسكت بقى و اتربّى", أعودُ للمترل و اغير ملابسـي وأسمع دقات أنامل (علي) غير الرقيقة على الشباك .. أسارع بفتح درفة الشباك ليقفز داخل الغرفه و يسألنى عما حدث اليوم .. آه !!أعـذرني ..

من هو (علي) ! .. حتى الآن , هو (علي العدل) ابن صاحب محل عصير القصب المواجه لبيتنا .. أول مرة رأيته كانت قبل ذلك اليوم المشؤوم في المدرسة الجديدة بسنتين تقريباً ,ليلة ما ضربتني أمي بشدة وحبستني في غرفتي لتكمل شجارها مع أبي .. على اية حال .." مفرقتش كتير " فهم دائماً ما يهملونني ولايهتمون لأمري.. لا جديد !! ..

عندما رأيت (علي) لأول مرة وبادرني بالسؤال .. لماذا أبدو حزيناً ؟ - لم تكن دقات أنامله على الشباك رقيقة، لكنها أخفت قلباً يغرقك في عذوبة صفائه ورقته - و ما كل هذا الصوت القادم من الداخل؟؟ .. ومن هنا بدأت صداقتنا الخفية, هو يشبهني كثيراً وفي مثل عمري تقريباً .. اختلف عني بكونه قوي و له العديد من الاصدقاء يحكي لي عنهم كثيراً قصصاً عجيبة اكاد لا أصدقها !! لكني أصدقه, يأتيني كلّ ليلة لنتكلم كثيراً ثم يتركني من نفس الشباك ليذهب الى بيته .. لا بد أن ينام و يتركني لأنام أنا ايضاً .. حكيت له عمّا قال لنا الأستاذ و لم يفهم شيئاً هو الآخر .. مذكرتي العزيزة لقد أرهقتني الكتابة و يجب ان اذهب لأتحدث مع (علي) الآن .. فدعيني .. سأحدثك لاحقاً.

الى اللقاء يا عزيزتي..

مذكرتي العزيزة..

اليوم اريد ان أقص عليكِ كيف علمت أمي عن صداقتي بـــ(علي) ..كان نهاراً مشؤوماً هو الآخر, لا أعلم ما دفعها لدخول غرفتي في غـــير أوقـــات التنظيف لتسمع صوتاً غريباً لم تعتد أبداً سماعه بالمنزل يتحـــدث الي !! .. نعم .. هذا الشخص هو (علي), ارتعد من الخوف عندما سمع صـــوت خطواتها و هرب من النافذة قبل ان تفتح الباب لتراه أمـــي .. تصـــيح بي "كنت بتتكلم مع مين يا ولد ؟ " ...قلت "لا أحد يا أمـــى", فصـــاحت بصوت مثل الذي تصيح به فى وجة أبي "ماتكدبش عليا يا واد انت, انطق .. كنت بتكلم مين ؟ بقالي شوية سامعة حس جاي مـــن "أوضـــتك" و الشباك عمال يتفتح و يتقفل ومفيش هوا !", مارست ضدي ضـــغوطاً لم أستطع أن أقاومها كثيراً فأخبرتها بما حدث تفصيلاً .. " مش قوي يعني ".. فثارت و غضبت و راحت تضربني بعنف شديد كعادتها بعصبيةٍ شديدة.

بعد حدوث هذا بعدة أيام .. شكوت لــ (علي) بأني ضقت ذرعاً بحياتي وخوف أمي الشديد والغير مبرر من صداقتنا .. وفجأة نظرت ناحية الباب لأجد أمي واقفة فاتحه فمها في صدمة غريبة لم أرها على وجها من قبـــل ! وتبينت فاذا بعينيها دموعاً بدت وكأنها دموعاً حارةً و صادقة وكانت تلك اول مرة أراها فى هذه الحالة المذرية .

قفز (علي) مسرعاً من الشباك و تركني وحيداً مع أمي التى اتخذت صمتاً طويلاً تناثرت من بعده كلمات مبهمة لا معنى لها ولا تدل على أي شيء

ثم استجمعت قواها فى لحظة وكأنها استندت الى شيء صلب فى داخلها و قالت بصوت لم تخلوا منه دموع حزن وألم عجيب لا ادرى من أين اتـــت به "دي مش أول مرة اشوفك فيها بتتكلم كدة و كنت بقـــول دا لعـــب عيال, انت مابتتناولش ودي اخرتها, انت مصاحب شيطاااااااان " تعوقهـــا الدموع ثم تكمل "يا مرارك يا ماري .. يا مرارك يا ماري .. ليه يـــا رب كدة بس .. ليه يا رب .. بسم الصليب عليك .. بسم الصليب عليك .. بسم الصليب عليك" .. قاطعتها "هو انتِ مش مكبّرة الموضوع حبتين يـــا ماما؟ " .. (علي) صاحبي و مفيهاش حاجة يعني ! و هو متعود يجيلي مـــن الشباك عشان مايدايقيش" قاطعتنى هى "اخرس !! .. "علي" ده شـــيطان, مش عايزاك تجيبلي سيرته تاني ولو شفتك بتعمل كدة تاني! .. هضربك يا بيتر ...هضربك .. انت فاهم !"..

مذكرتي العزيزة .. أود ان أوضح لكِ أني لم أعد أخاف الضرب .. فقـــد اعتده " والجتة نحّست " .. و(علي) كان ياتيني من الشباك لأن أمي لم تكن أبداً لتسمح له بأن يزورني من الباب .. أعتقد أنّها سيدةٌ متوترة الأعصاب دائماً, مشاعرها الغاضبة سهلة الخروج .. أقل شيء يثيرهـــا و تـــرى في (علي) شيطاناً لأنه ليس مثلي ساكن و صامت بل هو ملـــيءٌ بالحيويـــة و النشاط اي "شقي" كما يقول الاهالي دائماً وليس بمعناها في المعجـــم ! .. لا أرى داعٍ لكل هذا الذعر والخوف من (على) !!, المشكلة أني أعتقد أن

(علي) قد تأثر بما تفعله أمي معي .. بسبب تصرفاتها أصبح (علي) صـــامتاً معظم الوقت وصرت أنا من يتكلم كثيراً الآن .. يساعدني علـــى فهـــم أحوال (علي) المزاجية "أونكل" سامح .. فبعد فترة وجيزة من معرفة أمي وأبي بصداقتي بـــ(علي) دخل "أونكل" سامح حياتي .. في الحقيقـــة .. لا أحب هذا الشعور .. لكن يمكنني القول بأنه أصبح يتكلم أكثر قلـــيلاً .. لكنه أبداً لم يستطع احتلال تلك المساحة المملوكة خاصةً لــ (علـــي) في قلبي!.

مذكرتي العزيزة..

اليوم مثل معظم الايام يرن التليفون فتكون احدى خالاتي تذكّر أمي بميعاد البرنامج التلفزيوني .. تجلس أمي وأبي امام الشاشة يشاهدون ذلك البرنامج المهاجم للإسلام .. لم أكن أحب أن أشاهده أو أشاهدهم لأنهم كـــثيرين جداً .. أحب (علي) ولا أريد أبي شيء يعكّر صفو علاقتنا .. لكن أصرّت أمي أن تجذبني من يدى و تجلسني لأشاهد معهم قائلةً "ربنا يهديك يا بيتر" .. جلست لأتفادى حديثا مطولاً ينتهي دائماً ببكائها هـــي وأبي بســـبب صداقتي بـــ(على) واتهام أبي لي بـــالجنون أحيانـــاً و الخ الخ الخ.., المهـــم جلست .. وأخذ الكاهن – مقدم البرنامج – يتكلم بشكل جارحٍ وغـــير لائق بخادمٍ للرب ..كان يتكلم فى امور جنسيةٍ بذيئـــةٍ ولا أعلـــم كيـــف

سمحت لي بل وأصرّت أمي أن أشاهده وبه هذا الكمّ من الإسفاف والتجريح في الآخر .. لم أحتمل هربت من الصالة الى غرفتي وفي رأسى مائة سؤال لـ(علي) عن ما قاله الكاهن فى حق دين الاسلام .. انتظرته يا مذكرتى العزيزة الى أن جاء.. وطرحت عليه أسئلتي وانتظرت بشغف لأسمع رده .. لكن لم يكن هناك ردٌ محدد.. فقط هو الصمت ونظرةٌ غريبةٌ لم أعد أفهمها وكلمة "معرفش" .. أعلم أن (علي) مثلي .. صغيرٌ لا يعلم الكثير .. لكنّ من المؤكد أن هناك ردٌ على هذا الكاهن .. لكن ليس عند (علي)! .. تكلمت أنا كثيراً اليوم عن كل ما أعانيه بسبب صداقتنا و عن موضوع الدين هذا .. تمنيت لو نطق! .. لو شاركني همّي! .. أحسست لو أن هناك شيءٌ خفي بيني و بينه! .. يفصلنا شيءٌ يحجب كلامه عنّي ويشوه كلامي فلا يفهمه, لماذا انت صامت يا (علي) ؟ .. صحت فيه "انطق يا (علي) ! .. أرجوك مش قادر استحمل !" .. أمي تظنُّ أنك شريرٌ كالشيطان .. وكثيرين عندهم مشاكل مع دينك وبيقولوا انكم أشرار ومينفعش الاختلاط بيكم, أمي يا (علي) جابت كاهن يصليلي فاكرة إن عليا شيطان عشان بكلمك!.. انطق يا (علي) ردّ عليّا! ..

" .. نسمع صوت أقدام أمي .. يهرب قبل ان تفتح فجأة .. تنظر لي و تخرج باكيةً! .."كلّم سامح ييجي يا بطرس .. انا مش قادرة خلاص"..

لماذا يا علي .. أنا لست سعيداً يا مذكرتى ..كيف يهرب ويتركني .. هو صديقي الوحيد .. لو كان لى أخٌ لكان علي اقرب لي منه !! ..

الى اللقاء عزيزتي ..

مذكرتي العزيزة ..

قد فاض بي الكيل ... كنت أجلس وحيداً في الفصل كعادتي .. عندما سمعت زميلين يتهامسان بكلامٍ عن اختطاف شابّات مسيحيّات وإجبارهنّ على دخول الإسلام وعن أخريات يدخلن في "بروفات" الملابس ولا يخرجن ويتم معهنّ نفس الشيء وكلامٌ آخر عن أشياء غريبة يفعلها مسلمون بمسيحيون, ضايقني الحديث .. أنا أعرف علي ومن مثله لا يمكن أن يفعل مثل تلك الاشياء.. فقاطعتهم قائلاً: "إن الكلام ده كدب ومش صح", نظرا لي نظرةَ من يُحدثُ المجنون ! .. وقالوا "اسأل أي حد مننا وانت تعرف" .. ثم أكمل واحداً منهم في تهكُّم "أو أقعد لوحدك اسأل نفسك" .. وغرقا في الضحك .. لم أستطع تحمُّل ضحكهم المستفز .. فهجمت على أحدهم وانهلت عليه ضرباً مما أدّى الى إحالتي للناظرة وحصولي على "ثلاث أيام رفد من المدرسة" مما أدى الى علقة ساخنة جداً من أمي .. وحبسي وحيداً في الغرفة...

جاء علي ولكنّي لم أفتح له .. لم أرِد التحدُّث معه! .. حديثنا أصبح لا يجدي على أيةِ حال ..

الى اللقاء عزيزتي ..

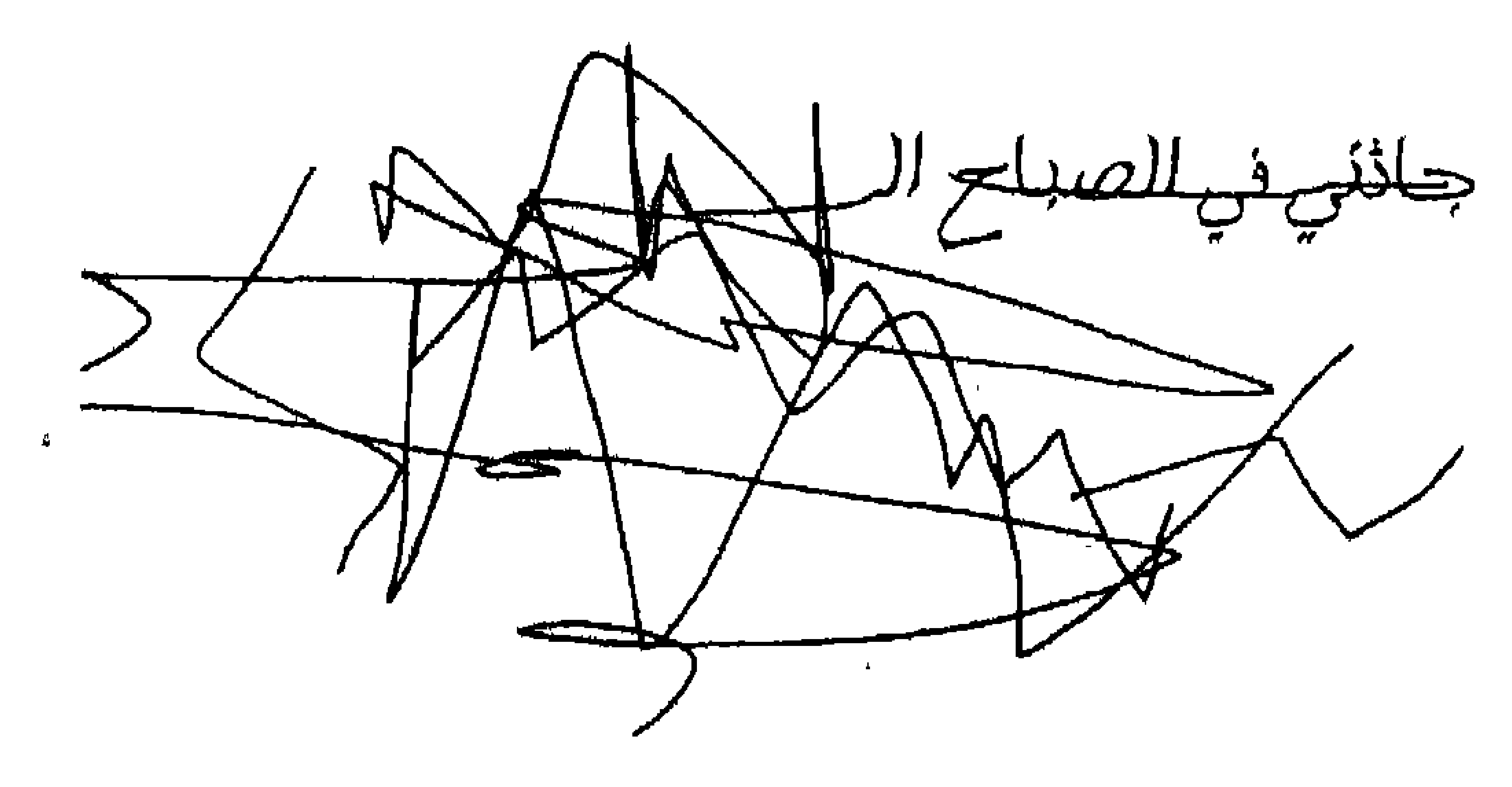
مذكرتي العزيزة ..

إنه آخر يومٍ لي في تلك الاجازة القصيرة التي منحتني إياها المدرسة بعد اشتباكي مع هذا الزميل المغفل, المهم .. أخذني اليوم أبي الى سوبر ماركت "عم اندراوس" وهناك بعد السلامات و السؤال عن حالي وسر الشحوب على وجهي الذى يراه الجميع الا أنا! وكل ذلك الكلام تحدث أبي بصوت خافت مع عم اندراوس عن أحمد - صبي عم اندراوس - وكيف يشكي عم اندراوس من انه يسرق من المحل ويدّعي أنّ أمّهُ مريضة .. وأنّهُ لا أمان فعلاً للمسلمين .. وخيرٌ له أن يطرده .. وهنا قاطعتهم قائلا "هيَّ مامته مش عيانه فعلاً ؟" ..اجابوا "نعم" .. لكن هذا لا يعطيه حق السرقة وحتّى لو لم تكن مريضةً .. ليس لهم امان .. قلت "مش معنى ان واحد كدة يبقى كلُّهم كده !!"...قال عم اندراوس "بسّ يا بيتر يا ابني انت صغير ومتعرفش حاجة .. دول لو طالوا ياكلونا كانوا عملوها! .. اوعى يا بيتر تصاحب حد منهم دول ساعة الجد هيقلبوا عليك !!".. لمعت تلك الجملة في ذهني .. فهذا ما حدث معي فعلاً, لقد تركني "علي" وقت الجدِّ ومازال مصمماً على اللا يتكلم مع أمي وأصبح لا يتحدث معي كثيراً .. ربّما كان عند الجميع حق! .. أعتقد يا مذكرتي أن علاقتي بعلي قد انتهت .. لن أسمح له بالدخول الى غرفتي مرةً أخرى! .. ولو أصرَّ سأدفعه بشدةٍ .. وسأكتفي بحديثي مع "أونكل سامح" .. هو اكثر شخص يفهمني الآن ..

إلى اللقاء عزيزتي ..

مذكرتي ..

(وبشخبطة عنيفة ..)



تعاركنا أنا وعلي وجُرِحت يدي .. أمّي تبكي ومنهارة .. لم أعد احتمل ذلك الشخص .. سأبقيهِ خارجاً ولن أتركهُ يدخلُ هنا أو يكُن له مكان في حياتي أبداً! ..

تصبحين على خير ..

هنا .. أغلَقَ الأجندةَ الصفراء وبدأ يكتبُ ملاحظاته الاخيرة ..

"خيالات طفوليةٌ أدت مع وجود كبتٌ شعوري وعنفٌ جسـدي ضـد "الحالة" فى الطفولة .. مما أدّى الى التخيل الكامل لشخصٍ هو مزيجٌ مـن تجاربِ "الحالة" الشخصية .. ومع مرور الوقت وزيادة الضغط .. تَكونت لدى "الحالة" صراعٌ نفسي داخلي بين "الحالة" والاسـقاط التخيلـي في شخص "علي" .. أدّى هذا الى رفض ذلك الكيان ممـا يوضُّـح سـبب الانتحار .. فقد كانت الحاله تحاول دفع الشخصيةِ التخيلية مـن النافـذة وبسبب عدم وجود شخصٍ حقيقي.. سقطت الحالة وتوفيـت فـوراً .. الجدير بالذكر ان اللوحة المذكورة مسبقاً عند بائع عصير القصـب هـى لوحه "أسماء الله الحسنى" ..

الله يرحمك يا بيتر ....[7]

أ.د. سامح ف.
أخصائي أمراض نفسية وعصبية

---

[7]على ضوء اعلان لشركة اتصالات كبرى ... شايف مصر ؟!

TAXI

رجعها يسوع .. بركاتك يا صليب !



في إحدى المرّات النادرة جدًّا والتي لا تأتي إلا في المناسبات الهامّة، قررت ركوب التاكسي، وهو اختيار فرضي في ذلك الوقت إذا ما قررت إنهاء مهمّتي بنجاح.. ميعاد مع صديقتي الجميلة التي لم أرها منذ فترة طويلةٍ جدًّا لا يحتمل ركوب "الميني باص"، والذي يعني أنّك ستنزل مشلوحًا في النصف العلوي من ملابسك - إن ساعدتك الظروف - وعدد هائل من طبعات الأحذية بمقاسات مختلفة على "بنطلونك" الأزرق الداكن، مع "بوظان" فورمة الشعر "الكانيش" الذي استغرقت في تحضيره وتهيئته فترة طويلة..

لا أملك صفات الشاب "الدون جوان"، فكان يجب أن أفعل ما بوسعي وهو المحافظة على عنصر النظافة ووضوح مظاهر الاهتمام على محيطي الخارجي، وبالطبع كان يستحيل التفكير في "أتوبيس النقل العام" في جميع الأحوال لأنه يجمع كلّ المميزات السابقة مضافًا إليها عنصر "التقليب" و"التحرُّش" والذي لا يفرّق بين كونك ذكرًا أو أنثى.

كانت المسافة طويلةً نوعًا ما.. كلُّ المسافات داخل القاهرة يمكن اعتبارها طويلة جدًّا إذا ما كان الوقت هو وحدة القياس لطول المسافة.. قريبًا ستتحول شوارع القاهرة إلى كتل ثابتة تتحرك بالـ"ملليميتر".. قريبًا جدًّا!

في الطريق إلى المطعم – الذي اتفقنا أنا وزميلي أن يكون مكانًا للقاء – مرّ "التاكسي" بسوقٍ الخضار على بعد نواصٍ قليلة من شارعنا المتفرّع من شارع الهرم، كان فارغًا جدًّا بعكس المعتاد، فهو يحمل في العادة ذلك المشهد المتوقّع لشوارع العاصمة في المستقبل.. الحركة بالملليميتر وربما تكون محلقًا إلى الأعلى بشكل لا إرادي وتسير بقوة الدفع إلى جميع الاتجاهات.. يأخذ بيدك القدر إذا كانت قوّة الدفع بالاتجاه الذي ترتضيه.

سارعت بالاتصال بهاتف أمي المحمول أخبرها باكتشافي اليوم لكي تذهب أخيرًا للسوق، بدلًا من الاعتماد على الباعة الجائلين الذين تتحكّم نوع البضاعة على عرباتهم "الكارّو" في نوع وجبة غداء اليوم.. أخبرتها بالهدوء الذي يحيط السوق على الرغم من أنّ جميع الباعة متواجدون.. صمتت قليلًا..

– ها يا ماما! ظبطينا بقى النهارده حلاوة الخبر ده!..

استفزتها أحلامي – التي أؤمن بمدى مشروعيتها خاصةً مع شكل وحال السوق – فأخذتها الحماسة أيضًا لتندفع الكلمات عنيفةً من سمّاعة الموبايل:

– إنت مش عارف "القوطة" بكام دلوقتي!!

– بكام يعني يا ماما!.. غليت نصّ جنيه!؟

– القوطة بـ 15 جنيه الكيلو ياروح أمّك...

استغرقت أنا هذه المرّة في صمت عميق حتّى قطعه صوت غلق سماعة التلفون بعنف شديد من أمّي...

لم تكن ملامح السائق مشجعةً بالقدر الكافي لأشاركه شعوري بالقرف والكره للحياة بكلّ ما فيها في ذلك الوقت.. أخذ الغضب بداخلي يزداد تـــدريجيًا، إلى أن تطابقت ملامح وجهي مع السائق، وانطلق لساني - بقوة الاندفاع والغضب نفسهما الذين كان يسوق بها السائق مطلقًا لسانه بوابل من الشتائم على كـــل من يعترض طريقه، ويتفادى السيارات من مسافات ضيقة جدًا بسرعة جنونية، وكأنه يلعب "نيد فور سبيد" بالـــ"بلاي ستشين" - لأخبره بما سمعت من أمّي، وبأن "كيلو القوطة بـــ15 جنيه ياروح أمّك!"..

فاجأني ببردة الفعل:

- دي بلد بنت وسخة!

- ليه كده يا اسطى الغلط ده!.. ما البلد دي عايشين فيها، وزي ما بيقولـــوا كده مصر هيّ أمّي..

- أمّي ماتت يا باشمهندس!

- يعني حتّى لو ماتت هاتكرهها؟ أكيد هتفضل بتحبّها وهتفضل جوّاك!

- يا باشمهندس لّما تتكلم عن علاقة حب يبقى لازم على الأقـــل لـــو بتحـــبّ 100% تلاقي منها 20%.. إحنا بقى بندّي وبناخد.. بناخد علـــى دماغنـــا وعلى كل حتّة يا باشا.. إنت هندسة بقى وفاهم! حب إيه اللي إنـــت جـــاي تقول عليه؟! ده في السيما بس، و"ماشربتش من نيلها"، و"يبقى إنت أكيـــد في مصر".. وسلامات بقى يا سيما!.. عارف يا هندسة، حتّى الكورة اللي كانت الحاجة الوحيدة اللي بتفرّحنا.. بتحسسنا يَعني كده إن عندنا شـــوية كرامـــة

وفالحين في أيتُها حاجة!.. حتّى دي منكّدة عليّ عيشتي ومكدراني في حياتي كلّها، وهاتفضل تكدرني طول ما (الزمالك) ده مرض في جلدي، و(حسن شحاتة) ماسك المنتخب.. (الجزائر) علّمت علينا يا هندسة، القفا وجَع أوي، ونتضرب ونتهان وعلمنا يتداس في الأرض.. ونتغلب!.. بذمتك يا هندسة، (شيكابالا) مش في المنتخب ليه؟ هاااااا؟

- خلّي بالك يا أسطى.. عايزين نوصل الله يكرمك المشوار طويل!.. هيّ الكورة اللي خلّت (مصر) ست مش نضيفة؟؟

- مش الحكومة عايزة كدة يا هندسة؟.. وأنا باحب الحكومة وإنت كمان يا باشا بتحبّ الحكومة.. إنت فاكر إن الماتشات والخناقات و(الجزائر) و(مصر) و(شيكا) و(حسن شحاتة)، و"(المعتصم) راح.. (المعتصم) جه".. كل ده كورة؟ سلامات يا كورة! يا هندسة كلّ دي غلوشة ووغوشة عشان الباشوات يعرفوا ياكلوا ويشربوا ويورّثوا، ووقت الرّاحة يتفرجوا علينا كدة وإحنا في حلبة التيران، ومش بعيد كمان تلاقي مراهنات عند الكبار على مين اللي هايكسب!.. بذمتك مش متعة يا باشا!؟

- ممممممممم..

- شايف الكنيسة دي يا هندسة؟..

- مالها يا عم الأسطى؟

- إمبارح قبل ساعة من دلوقتي كدة، وقفت هنا على زحمة ودوشة كانت موقفة الشارع والمنطقة كلّها، نزلت أشوف فيه إيه، لقيت مظاهرة والنّاس على

آخرها.. وأنا بقيت مع النّاس ومن إمبارح وأنا متأكد إن البلد دي عمـــر مـــا حالها هاينصلح!..

– شفت إيه؟.. بيني وبينك مش طالبة نكد.. بس لازم أعرف وشّك ده اتعمل إزاي كدة!

فجأة، توقّف السائق دون سابق إنذار، واتجه بوجهه – الـــذي كـــان شـــاحبًا وغاضبًا من البداية – نحوي بمعدّل من الغضب يزداد تصاعديًا، ووضع كلتا يديه على طارّة القيادة وبنبرة عالية غاضبة:

– تصوّر يا هندسة، شوية ولاد قحبة يخطفوا مرات أبونا!

– ربنا يخليهالك يا أسطى.. دي أكيد كبيرة في السنّ.. إنـــت راجـــل كـــبير ومرات أبوك لسّة عايشة، وواضح إن إنت بتحبّها زي والدتك.. إنت راجـــل كويّس..

– صحصح معايا يا هندسة.. شكلك ماصبّحتش قبل ما تنزل! مـــرات أبونـــا القسيس في الكنيسة، خطفوها مسلمين إمبارح ولحسوا دماغها وعايزينها تأسلم بالعافية.. بس الموضوع ده مش هايعدّي على خير!.. عارف يا هندسة؟ إمبارح خمسين قسيس كانوا في المظاهرة والدنيا كانت مقلوبة.. أول مـــرّة أشـــوف اخواتي غضبانين كدة!

– مممممم.. قريت أنا عن الموضوع ده إمبارح.. وتصدق اتضايقت فعلًـــا!.. كانوا بيقولوا إيه في المظاهرة دي؟.. تفتكر أي حاجة؟

- أهه كلّه كلام يا باشا، وهنا الكلام زي ما إنت عايز، لا بيودي ولا بيأخر.. س لو فضلت الحكاية كده وفضلت الحكومة ساكتة!!.. الموضوع ده هايكبر مش بعيد تلاقي النّار في البلد كلّها!

- بس يا أسطى! نار إيه يا عم! وفّر النار للطبيخ، بكرة هاتأجرها بـــ 50 جنيه ي اليوم!.. إيه الكلام اللي اتقال ولا بيودّي ولا بيأخر؟

- كتير يا باشا.. ما أفتكرش غير بتاعة جمال.. "يا جمال إنت الريس.. خطف بناتنا مش كويّس"، "يا مسيحي علّي صوتك.. ماتخلّيش الدنيا تفوتك".. خـــد من ده بقى كتير..

انتابتني حالة استغراب شديدة، وانتقلت ملامحي مـــن وضـــعيّة الغضـــب إلى "الازهلال" عندما صدمتني تلك الكلمات والتي تحمل معانٍ تجزم بمدى الـــوعي الذي وصل إليه المصريون، لدرجة أنهم تعدوا مرحلة التنبؤات إلى الجـــزم بمـــا سيكون عليه المستقبل.. فقد طالبت اللافتات "الريس جمال" – على اعتبار مـــا سوف يكون – بأن يتدخل شخصيًا من أجل حل القضية!..

قطعت هذا التفكير وهذه الحالة من "الازهلال" رنّة الهاتف المحمول من صديقي الذي يعمل بمركز المعلومات في رئاسة مجلس الوزراء.. وبعد السلامات والعتاب من قلّة السؤال والاطمئنان على الأهل والحياة والشغل، طرحت عليه بعضًا من مناقشتي مع السائق عن قضيّة "مرات أبونا" ليفاجئني بخبر تصدّر عناوين الأخبار والمواقع الإخبارية يفيد بعودة زوجة الكاهن إلى الكنيسة وسط موكب من أمن الدولة وفرحةٍ عارمة من رعايا الكنيسة، وصرّحت هي شخصيًا بأنها كانت في

إقامة مؤقتة عند صديقةٍ لها لاشتعال خلاف مالي في اليوم قبل السابق بينها وبين زوجها الكاهن..

بعد إغلاق سمّاعة الهاتف المحمول أعلمت السائق بما أخبره زميلي لي في المكالمة السابقة، تحوّلت ملامحه فوريًا لتظهر عليه سعادة كبيرة وابتسامة النصر، وانطلقت ردّة فعله تلقائيًا..

- رجّعها يسوع!!.. بركاتك يا صليب..

استغرقت في صمت عميق، محاولا تخيّل ما كان يمكن أن يحدث لو طالت مدّة إقامة زوجة "أبونا" عند صديقتها، أو ماذا كان سيحدث لو ذهبت ضحيّة حادث - لا قدّر الله - من الحوادث التي تحدث كلّ يومٍ و لم تعُد أبدًا!!

لم أحاول طرح هذه الأسئلة على السائق لكي لا تتحول ملامح وجهه مجددًا، وقد اقتربنا من الوصول لمكان اللقاء بصديقتي.. كنت بحاجة لعدم رؤية هذا الوجه لفترة كافية كي أعود إلى حالتي الطبيعية كي لا أخسر صديقتي لأسباب تافهة، وأيضًا كي لا يكون اليوم كئيبًا كهذا الوجه الذي "اصطبحت" به وصاحبني كلّ تلك المسافة..

- أيوة هنا..

على جنب يا أسطى!!

خلّيها في أيدك



في أحد محلّات الوجبات السريعة بميدان التحرير .. ألتهم آخر قطمة من "سندويتشي" المفضّل مصدراً ذلك الصوت[8] الموحي بمدى طعامته, ممصمصاً أصابعي من بقايا "الكاتشب المتدلدق من مؤخرة الساندويتش" محاولاً حصر تفكيري في مدى حلاوة "الساندويتش" بعيداً عن سعره المتزايد دائماً! .. فمع كل زيادةٍ يموت في داخلي جزء من إنتمائي "للساندويتش" وللمحل! .. أخافُ حقاً من أن تزيد تكلفته عن حبي له مثله مثل الكثير من الأشياء التي تضطرنا الظروف أن نتخلى عن حبنا لها ..

المهم "أُكَرمِشُ" الحقيبة الورقية بعنفٍ ينمُّ عن مدى استمتاعي بما أكلت .. وهنا كأي إنسان متحضر سعيت أبحثُ عن صندوق قمامة – زبالة - وظللت أبحث، أبحث، وأبحث ومللت البحث و لم أجد أي "جنس صفيحة حتّى" !!

هنا كنت على حافةِ أخذ الاختيار الذي يتخذه ثمانين مليون مصري كل ثانية .. أرميها في الشارع مقنعاً نفسي ومن حولي بالبروتوكول المعروف ضمنياً "إنها وقعت منّي غصبٍ عنّي "قال يعني"! ..

---

[8] الصوت : ممممممم

فجأة .. حدث مثل ما يحدث في أفلام "السَسبنس" .. وقفت لبرهةٍ .. تأملتُ الشارع وما حولي وسطَ صخبِ "الأوتوبيسات" ونداءات الباعة الجائلين ثم َسرَت في جسدي رعشةَ الاستيعاب الخفيفة .. أردت لو أركض "بلبوص" وأنادي وجدتها!!.. وجدتها!!.. مثل "ارشميدس" !!

لقد وجدت سر المشكلة وفهمت "التيته[9]" كلها !!

ما حياتنا إلا مجموعة من المُدخلات فينا ومخرجات منّا – لا مؤاخذة – .. وبالطبع تعتمد جودة تلك الحياة على جودة المدخلات وسهولة أو "نضافة" التخلص من المخرجات, تخيل معي يا عزيزي "انك بتاخد بس" .. تخيّل حياتك بمدخلات فقط .. تخيّل ذاتك في مجتمعٍ لا يسمحُ لك إلا بأن "تاخد فيها" – ذاتك – وغير مسموح لك بأن "تدّي في أي حاجة .. في أي مكان!" .. زعماً من القائمين عليك ولا عجب أنهم يُسَمون أنفسهم القائمين عليك بأنّك "عاجز" عن الإخراج السليم والنظيف ولا حتّى يُسمح لك أن تسأل عن جودة ما تأخذ فأنا وأنت نأخذ من سكات.

---

[9] التيته :مؤنث "التيت" و "التيت" هو الصوت الذى يصدر عشان يغطي على الشتايم الابيحه في الأفلام أو البرامج التلفيزيونية ومع الوقت أصبحت "التيت" في حد ذاتها شتيمة بس محترمة تستعملها في الغالب الفتيات الروشة طحن عشان يبانوا صيّع يعني ..أما "التيتيه" بقى هيّ كـــل الي فات ده .. أي المقصود منها القصه أو الحوار

جميعنا يشرب من ماء النيل ويأكل من نتاج طين ما حول النيل دون الاعتراض على جودة أيهما .. ولكي تكتمل الصورة .. لا تعطيك الدولة للأسف "حمامَات عامة" لتصريف ما أكلت أو ما شربت .. تمتليء الشوارع بالمحلات التجارية الضخمة ومراكز التسوق التي تدُر ضرائباً "بالشيء الفلاني" للدولة .. مشكورٌ "القائمين علينا" باعطائنا فرصةً للتسوق وفرصةً لزوجاتنا لإفتعال شجارٍ جديد تحت عنوان "لو بتحبني هتسبني أجيب اللي عيزاه" مع الأخذ في الاعتبار أن الجملة الحقيقية المفروض أن تكون "(كل) اللي عيزاه"... ولكن أين صناديق "الزبالة" ؟... ليس فقط للتخلص من الأكياس والاغلفة الورقية للمنتجات ولكن للتخلص من الأعضاء المتبقيه بعد خناقة "لو بتحبني هتسبني أجيب اللي عيزاه !!"

كل يومٍ هناك سببٌ جديد للمظاهرات والاحتجاجات لدرجةٍ تجعلني أفكر أنه سيكون من الأفضل لو حددوا مكاناً رسمياً دائماً للمتظاهرين في كل القضايا .. مع السماح لهم بتغير اللافتات والشعارات بتغير أسباب المظاهرة! .. وبهذا نوفر على القنوات الفضائية "الي بتهدّي النفوس" الشحططة .. لكن مع الأسف لا يسمح لنا "القائمين علينا" بأن نُخرج غضبنا .. فغضب الجماهير مكبوت "بقاله فتره وريحته وحشة" .. ينبغي فقط إخراجه على ظهور أبواب الحمامات في "بورتريهات" هي مزيج من انحرافات وكبت فكري وربما جنسي في كثير من الأحيان !!

هذا ما يحدثُ فعلاً ..كل فردٍ منّا يُخرج على طريقته وبوسيلته الخاصّة به .. فالإخراج في بلادنا "قطاع خاص" .. لا يستطيع المرءُ أن يحبس مخرجاته لوقت طويل وإن لم يجد سبيلاً مناسباً فمن الطبيعي أن يتصرف على سجيته ويصرّف نفسه "تحت الكوبري" أو في مقال غاضب على "الفيس بوك" وربما في وقفة إحتجاجية هذا ما إذا وصلت الزنقة الى حدها .. وأمّا "الزبالة" وهي لُبُّ موضوعي وملهمتي فدعني أحدثك عنها من البداية .. تحديداً .. من مرحلة الإدخال ..

نحارب يا صديقي في تلك البلد العجيب كل واحد وطريقته للحصول على مدخل "نضيف" قدر الإمكان أو قل "آدمي" قدر الإمكان وإن أردت الحقيقة التي يعيشها الملايين, نحارب نحن لنحصل على مدخل لا يجعل أولادنا وبناتنا يكرهوننا أكثر من اللازم .. تستنفذ المدخل قدر الإمكان ويتبقى فضلات الفضلات .. لأن هناك من يعيدون إستخدام الفضلات .. صدقني!, المهم .. يتبقي "شويه زبالة" فتذهب - ليس أبداً بدافع ميولك العدوانية أو كرهك للمجتمع النابع من شخصيتك "السيكوباتية" التكوين و"الإمّعية" التصرف أو أي شيء ممكن أن يقوله عنك المسؤول في برنامج البيت بيتك "سابقاً".. بجد - لكن عشان انت "ملقيتش" صندوق محترم يحتوي مخرجاتك فتنتقي رقعة ما على ناصية أحد الشوارع وتقرر أنها ستكون مقلب "الزبالة" الخاص بك وتتخلص منها وتكمل طريقك عادي جداً ..ثم يأتي من بعدك شخصٍ ما يحمل نفس احتياجك الملحّ بالتخلص من "زبالته" فينظر الى "زبالتك" ويظن "إن هو ده المكان المخصص لكَب الزبالة" وبذلك يا عزيزي قد تكونت كومة "زبالة"

جديدة و كبيرة بفضل إهمالك وعدم تحملك "البحث لساعتين أو ثلاثة "تانين" عن صندوق من اللي الحكومة مغرقة بيهم الشوارع" ..

في النهاية ومع الوقت عملاً بمقولة "الجيش قالك اتصرف" يتفق أهل الشارع أو ربما الحي إن كان صغيراً أن تلك الرقعة هي مكان إخراجنا "للزبالة" .. وبنفس "السيناريو" تتكون كل أكوام "الزباله" في كل المناطق "شفت بقى آخرة الدلع" .. فقط إختر إحدى النواصي "المدّاريه" وألقي فيها أي "زبالة" حتى لو كيس شيبسي وانظر وانتظر مع الوقت ستكون عزيزي كونت كومة "زباله" جديدة, "مبروك عليك واللي جابلك يخلّيلك".

على الرغم من أن النتيجة النهائية قبيحة وغير متحضرة إللا أنه يمكن اعتبارها منطقية .. فمن الطبيعي بعد أن تظلمك الدولة وتحرمك من مصدر لتخرج فيه "زبالتك" أن تصنع أنت مخرجك بنفسك ولست وحدك أنت وكل أبناء حيك اللاجؤون إلى الكومة للتخلص من مخرجاتهم, ينتهي بنا الحال إلى أن كل حي له كومته المنفصلة التى يقدرها قدرما يمقتها.

"الترِب[10]" بيجي فين بقى ؟! .. "إن الحضارة بتمشي في بلدنا بالمقلوب!! .. يعني معروف ان الدنيا ابتدت قبائل وبعد كدة مدن ثم دول لها إدارة واحدة ومصير واحد, مدخلات متكافئة ومخرجات نضيفة ومتوفرة, في مصر لما الدولة

[10] سمع ما معنى الترب ...شرحتهولك قبل كده انا !!

متبقاش ضامنه المدخلات ولا متكفّلة باحتواء المخرجات" .. تبدأ كل جماعةٍ على مختلف العنصر الذي يربطها ببعضها بالالتصاق ببعضها ومحاولة تأمين مصادر جيدة للمدخلات ومصادر نظيفة للمخرجات .. فنتحول من نظام البلد أو المدينة التي تكفل حق الحياة لكل الأفراد إلى نظام القبيلة ..كل قبيلة تنافس الأخرى على مصادر المُدخلات وتتكفّل كل قبيلة بتأمين مخارج تحوي وتحتوي ما يريد إخراجه أهل القبيلة !!.

"فهمت ولا لسه ؟!".. الذي يجعل القبائل مترابطة هو وجود عنصر مشترك بين أهلها غالباً ما يكون الدم .. أي أن القبيلة كلها عائلة واحدة هذا في حالة قبائل الصحراء .. أما في حالة "قبائل مصر" فما هو الذي يجمعنا أكثر من الدين !؟" .. وكما قرأت في كتاب الدراسات في خامسة إبتدائي "ده لو فاكر يعني" إن شعب مصر متدين بالفطرة فإن الدين في وقت "الشدَّة" هو بالفعل ما يجمع أهلها .. "وهنا يتضح لك عزيزي "التِرِب جاى منين!"

.. انهم اتجمعوا .. لكن في قبيلتين .. صغيرة وكبيرة .. وكل قبيلة تحاول كفاية نفسها وتأمين المدخلات لأهلها في صورة أشبه "بواسطة عامة" لو كنت من قبيلتنا تشتغل "ومتضّربش في الخناقة وممكن تدفع قليل في التاكسي كمان", أما المخرجات – الفكرية وهى ما أقصده من البداية – فإمّا أن يتمّ التصرف فيها عن طريق الفضائيات أو على صفحات "الإنترنت" أو حتّى في الكنائس والمساجد العامة .. المشكلة تكمن في أن كلّها مخرجاتٌ غاضبة بفعل الواقع "المستفز طحن" الذي نعيشه اليوم وكأن كلاً من الطرفين يريد عدواً يهاجم فيه

ليل نهار .. فقط كي يضمن إحساسه بالوجود والتواجد !! .. أيضاً لأن بداخل كل منا غضب من شيء ما "مزنوق" في داخله بسبب عدم اتاحة الفرصة لنا في تنفيس هذا الغضب بصورة سلمية تحت مظلة دولة واحدة .. "فلازم يطلع على حَد.. وعيب برضه نطلّعه على أهل قبيلتنا!" .. الحل.. "نرمي زبالتنا على الجيران وخلاص واللي مش قادر يتشطّر ع الحمار.. يعمل إيـــــــــــــــــــــــــه ؟!!"

الفكرة ببساطة .. "احنا لازم نعبر عن نفسنا ولازم نتكلم في مشاكلنا" ولا نكبتها .. لأنها حتماً ستنفجر يوماً ما وبحسب علمي ببلادنا أن الانفجار سيكون دوماً في الاتجاه الخطأ .. ومن هنا أدعوك صديقي في "كفاح الإخراج" أن تحتفظ "بزبالتك فى يدك" إلى أن نجد صندوق واحد يسمح للكل أن يلقوا بزبالتهم وأفكارهم وهمومهم فيه .. حتى نبقى كلنا قبيلة واحدةً تجمعنا مدخلات متكافئة ونظام صحي عادل لإخراج مخرجاتنا .. وإن لم يحدث هذا فعلى "القائمين علينا" أن يعلموا أن الظلم أقوى رابط سيربط بين القبائل لو استمر .. "وساعتها بقى هيبقى مقلب زبالة البلد عند قصر الرئاسة, الشعب كله هيعمل "بيبّي" على السور!!".

"مهداة الى بنت الناس التى حاولت أنِ تعلّمنى اللا أرمي في الشارع وانا مفيش فايده منّي! .."

البيه معاه حصانة



عم (يوحنَا).. جسد هزيل يحمل رأسًا ذا وجه مليء بالتجاعيد نتيجة عوامل تعرية الزمن، وخاصة تلك المنطقة أعلى وأسفل عينين امتلأتا بخطوط حمراء متقاطعة تصف لنا حياةً مليئة بالأحداث التي دائمًا ما تكون على الحافَة وتنتظر الخلاص في اللحظة الأخيرة ببركة ورحمة الرب، لكنها لا يمكن أن تمر دون أن تترك هذه العلامات، التي تنتج عن إصابات مزمنة بضغط الدم والأرق والإجهاد الدائم نتيجة العمل الشاق..

عم (يوحنَا) هو أسطى قديم، يعمل في نجارة الأخشاب، ولعل هذا يفسر أيضًا سر احتضان هذا الجسد النحيل لذلك الكف ذي الجلد الميت والقوة الهائلة.. والحقيقة أن هذا الكف هو ما يحمل هذا الجسد وليس العكس؛ فهو وسيلته الوحيدة للحياة وكسب الرزق، من ذلك الركن أسفل البيت الطيني القديم في قرية من ضواحي دلتا (مصر)..

لم يمر عم (يوحنَا) قط بتجربة أن يكون له منافسون في القرية يعملون في الحرفة نفسها، ولعل هذا يبدو غريبًا لكنه حقيقي؛ فقد كانت هناك العديد من المحاولات من آخرين لكسب الرزق من خلال هذه الحرفة، لكن هذه المحاولات لم تدم طويلًا، فسرعان ما "تجيب درفها"، أو يتحول النشاط المهني في المكان نفسه إلى نشاط آخر...!!

للمنافسة في السوق آثار إيجابية عديدة، أولها ضمان جودة المنتج، لكــن عــم (يوحنَا) ترك هذا الأثر، دون الحاجة لهذه البيئة التنافسية، لأنه يمتلك ضميرًا حيًا، دائمًا ما يفرض عليه إتقان عمله، كما أنه يحب حرفته ويتفنن في أدائها، وينظر إلى كل منتج خارج من "الورشة" على أنه لوحة جمالية، لا بد وأن تنال إعجاب "الزبون"، فلم يكن هدفه قط مجرد رضا "الزبون" عن الطلبية، وإنما كان حتميًا أن يصل به إلى مرحلة الإعجاب، وينال عليها ربحًا زائدًا، على شاكلة كلمات شكر وثناء تضيف له طاقةً وحافزًا يساعده على المضي قدمًا وتحمل أعباء هذه المهنة الشاقة بهذا الجسد الضعيف..

(يوحنَا) في القرية الصغيرة – بل ولمحيط أوسع بكثير لما حولهـا مـن القـرى الصغيرة – أصبح اسمًا مقدسًا مرتبطًا بحرفة النجارة، وقبلةً يقصدها أهالي هـذه القرى الفقيرة إذا ما تعلق الموضوع بالأخشاب والأثاث..

ليس لدى (يوحنَا) خيارات أخرى متاحة.. قضاء معظم وقته في العمل – حتى على حساب نومه – كان ضرورة في حياته لعدةِ أسباب، أولها رغبته بأن يظل مستور الحال وأن يستطيع تحمل أعباء الحياة، هو وأسرته التي لم يتبق منها سوى ابنه (فادي) وابنته (جورجينا).. نعم، فعم (يوحنَا) يعيش أرملًا، فلم يستطع – بعدما خرج السر الإلهي لشريكة حياته وكفاحه – أن تحِل أخـرى مكانهـا.. احتلت (جورجينا) الأم مكانًا لا يمكن أن يخرج من حياة (يوحنّا) إلا بخروجـه هو من هذه الدنيا، فهو على يقين دائمًا بأن هناك ميعاد آخر للقاء.. لكنـه لم يحن بعد!

لهذه الأسباب لم يدع (يوحنّا) فرصة لعقله ليعمل ويستحضر الذكريات ويفكر في حقيقة الحاضر، لأنه لم يكن يؤمن بالحاضر.. الدنيا بالنسبة له رحلة قصيرة، بعدها حياة أخرى تنتظره فيها (جورجينا)..

كان المستقبل بالنسبة له لا يعني سوى حقيقة الموت، وابنـه (فـادي) وابنتـه (جورجينا).. ليس له خيار آخر سوى أن يضمن لهما عيشاً كريمًا.. لا يستطيع أبدًا تخيل حال أبنائه يواجهون هذا الوحش الذي ظل وما زال يصارعه طـوال حياته.. وحش الفقر.. بسببه لم يستطع علاج (جورجينا) في لحظاتها الأخيرة.. يؤمن بالقضاء، لكن الإحساس بالذنب لا يفارقه!!

لم يكن محافظًا على أداء الصلوات في الكنيسة بشكل دائم، وليس هـذا أبـدًا بدليلٍ على ضعف إيمانه!.. فرص الراحة كانت قليلة، لا يمكن لجسـده تحمـل سوى عبء العمل والمسافة الطويلة ما بين "الورشة" وفراش النـوم في الطـابق العلوي للمنزل، ومع هذا زرع في ابنه (فادي) حب الكنيسـة وضـرورة أداء الصلوات بانتظام.. من لحظاته الأولى في الحياة وضعها أمامه كأولوية أولى.. لم يكن مسموحًا أبدًا أن يتأخر على الصلوات أو جلسات الوعظ في الكنيسة على بعد أمتار قليلة من المنزل العتيق..

(فادي) لم يحمل الكثير من ملامح والده التي طمستها التجاعيد بفعـل الـزمن وقسوة الحياة، لكنه حمل روح والده البريئة والبسيطة نفسها، امتلك قلبًا طاهرًا يجري في شرايينه دم والده وأمه (جورجينا)، تربّى على أن يكون مسئولًا في سن صغيرة..

(جورجينا) الصغيرة لم يكن أمامها سوى (فادي)، دائمًا ما احتل مكان الأم.. والأب في أحيانٍ كثيرة!!

تفكير (يوحنّا) دائمًا كان يصب في مستقبل (فادي)، لم يهتم كثيرًا بالحاضر، كان يقسو عليه أحيانًا كثيرة، لكنها كانت قسوة لا تقارن بما تعرض هو له في رحلته الطويلة.. اعتقد دائمًا أن هذه القسوة البسيطة في سنه الصغيرة ستهبه قوةَ تحمل كبيرة في حياته مستقبلًا.. لم تكن قسوةً بالمعنى المفهوم، فقط تحمّل مسئولية غريبةٍ على فطرة هذه السن الصغيرة التي لا تعرف مسؤولية أخرى سوى لعب "البلي" أمام المترل، وعدم قضاء الحاجة إلا في خلاء المترل..

لم يمتلك (فادي) – كأقرانه في المدرسة والكنيسة – مالًا بسيطًا يساعده أن يعيش الحياة التي تتطلبها مرحلته العمرية..

في الحقيقة، لم يكن راضيًا تمامًا عن هذه الحياة غيز الواقعية بالنسبة له.. لم يكن باستطاعته أيضًا أن يدرك ما يدور برأس (يوحنا) بعد، لم يكن بمقدور (يوحنا) أيضًا أن يشرح له من الأمر شيء.. في الحقيقة لم يكن يمتلك شرحًا لنفسه لكل ما يحدث في الحاضر، فم يكن يكترث به كثيرًا، تفكيره دائمًا ما وقع أسيرًا لأهوال الماضي الذي حدث وفيما يمكن أن يحدث.. قسوة الحياة على (يوحنا) خلقت بداخله قلبًا آخر يستطيع أن يتنبأ بما هو أفضل للمستقبل، أن يستشعر الأولويات والقرارات التي يجب اتخاذها في هذا الوقت.. ليس أبدًا من أجل هذا الوقت، لكنه لوقتٍ آخر يراه قريبًا جدًا – فقد بلغ من العمر أرذله واقترب (فادي) من مرحلة منتصف العمر – وقتًا آخر لعلّه يحمل حياةً آدمية عادية – تقسو أحيانًا وتحنو أحيانًا أخرى فالحياة لا تحنو دائمًا، لكنها يمكن أن تقسو دائمًا!! – لمستقبله المتمثل في (فادي) و(جورجينا) الابنة.

***

لم يكن عريض المنكبين طويل القامة ذي رأس متوازي مستطيلات لا تستطيع أن تعرف له وجهًا من قفا..

في المعتاد، لا يسير الإنسان إلا إلى الأمام، هي وسيلتك الوحيدة التي يمكن أن تعرف بها وجه ذاك الشخص!.. فالشرير دائمًا ما يكون على هذه الهيئة والصورة التي أتحفتنا بها السينما المصرية وهو ما يسهل كثيرًا من عمل المخرج!

لم يكن (سيد عصفور) - أو مجازًا: (عصفور) - بهذه الصورة، ولم يكن أيضًا بهيئة ذلك الرجل الضخم ذي الذقن الكثيفة والكرش المتهدل والجلباب القصير الذي يبرز أسفله شيئان يُطلق عليهما اسم "ساقين"، لكنهما في الحقيقة لا يقارنان إلا بعمودي الإضاءة على مدخل القرية، وهي الصورة المتوارثة والمبرمَجة عليها عقولنا "للفتوة" في القرى والأحياء الشعبية لعاصمة المحروسة..

(عصفور) هو شخص أتت كل ظروف ومعطيات الحياة لتكون في مقابله دائماً .. كل شيءٍ كان يتحرك معه بالضد؛ والده توفي في حرب النكسة، فأصبح يتيم الأب، ثم أصبح يتيم الأم أيضًا عندما وضعته أمه عند مدخل القرية بجوار أحد عمودي النور.. لم تسطع تحمل مسئوليته في ظل انعدام الموارد..

في بلدنا العزيز، أم كل الدنيا - إلا (مصر) - هكذا يكون جزاء من ضحى بحياته ومستقبل أسرته فداءً لها ولترابها.. هكذا تعتني بهم وترد لهم الجميل..!!

قد يصل بها الحال إلى الانتحار أو الموت جوعًا، فربما كان مصير (عصفور) هكذا أفضل.. لم تجد تصرفًا أفضل من ذلك الذي أوحى به الله لأم (موسى) أن "إذا خفتِ عليه فألقيه في اليم"، إلى أن التقطته سيدة فقيرة من أهل القرية، لم تستطع رؤية بكاء الطفل الذي لم يدرك من كل الألم الذي يحيط به سوى إحساسه بالجوع.. أحسّت هي بذلك عندما خلد هو إلى نومٍ عميق بعدما

تحسست أنامله الصغيرة صدرها وامتص من رحيقه بضع قطرات، كانت هـي منفذه الوحيد للحياة!!

ظلت هذه السيدة المسكينة في عناء بحث طويل عن أمّه، وأنهكها السؤال بـلا جدوى في جميع القرى والنجوع المحيطة، مع يقينها بأن هذا العمل مـع سـبق الإصرار والترصد؛ لأنه – مع قسوة الفعل من البداية – إلا أنها شهدت لأمّـه ببقايا رحمة عندما فكرت في هذا المكان الظاهر في مدخل القرية، لتضعه ملفوفاً في ملابس ثقيلة مبطنة خوفًا عليه.. كان واضحًا أنه فعـل مقصـود، لكنـها تمسكت ببقايا الأمل.. فلولا الأمل لكانت هذه السيدة في قبرها منذ الميلاد!!

نعم، هؤلاء البشر يعتقدون أنهم أحياء، لكني لا أعتقد ذلك.. اترك لي الحـق في الاختلاف معك في وضع تعريف للحياة!!

أخذت الأيام في المضي سريعا على عكس المتعارف عليه..

انتظرت اللحظة التي تترك فيه هذا الطفل شابًا ليدخل معتـرك الحيـاة دون أن تتحمل هيَ ألم وصفعة الضمير (القاسية عند البعض .. غير القاسية عند البعض الآخر وربما البعض الكثير.. فربما علينا أن نترك لهم الحق أيضًا في وضع تعريف لهذا الشيء المسمى بـ "الضمير")!!

كل شيء يأخذ الحال المذيل بكلمة "ربما"، لكن الأكيد أن (عصـفور) خـرج شابًا ليدخل معترك الحياة، ليجد هو صفعةً في كل خطوةٍ يحاول بها الوصول إلى مرتبة البشر..

عده أهل القرية غريبًا عنهم، فلم يجد متنفسًا يستطيع من خلاله أن يعيش إنسانًا، يأكل عندما يجوع، ويجد غطاءً يحتويه عندما يسطو عليه النوم بلا رحمة..

كانت تراوده هواجس دائمة تخبره بأنه لا غطاء إلا ذاك الأبيض الذي لفَّ به أمهُ الافتراضية التي التقطته من على حافة اليم.. عفوًا من تحت عمود النور..!!

أخذت الصفعات تتوالى، والحياة تمضي بلا حياة، إلى أن اتخذ قرارًا بتغيير المصير حتى إذا كان إلى المجهول.. ويستحسن أن يكون إلى اللا شيء!..

يقينًا لن يكون الوضع في المجهول أسوأ من المعلوم، حتى إذا كان يُحتمل اشتمال هذا المصير على العذاب أو الموت البطيء، فربما يكون به رحمةً لم يعرفها في تلك الحالة المسماة فرضا بالحياة..

اتخذ قرارًا بالذهاب إلى المجهول الذي جاء أساسًا منه.. ردةِ فعل أمه نفسها لكن مع اختلاف المعطيات.. لا داعي للاستغراب، فجميعنا نعلم بحقيقة توارث الجينات.. فهي أيضًا من حكم القدر!!

اتخذ قرارًا بشيء يشبه ذلك الفعل المسمى بالرحيل.. إذا افترضنا أننا نصف بدقة فلا يجوز شرعًا أن يطلق عليه "رحيل"؛ فالرحيل أيضًا له صورةٌ محفوظة بداخلنا هي ضرورة حزم الأمتعة والملابس والانصراف إلى طريق يُعرف له نهاية أو شبه نهاية.. لكن هنا لم يكن الأمر كذلك.. الرحيل بلا هدف بلا طريق بلا أمتعةِ بلا أي شيء...!!

في طريق الرحيل إلى المجهول، وسط أصوات تُحدثها الرياح مع تداخل أغصان الشجر الكثيف على جانبي الترعة وتعاقب الأزمنة التي كانت بلا معنى، لا فرق بين يوم وما قبله أو ما بعده.. لا شيء يعطي معنىً حقيقيًا للزمن..

في لحظة من الليلة الثانية من السير لم يجد (عصفور) نفسه على بساط الطريق.. أتت الأقدار لتذهب به إلى أحضان سيارة من الطراز الحديث لكنه لم يرَ منــــها غير ضوء شديد ذهب به إلى سرير لم يتحسسه جسده منذ مدة كبيرة..

ربما يعتقد البعض أن الحادث كان عقابا من القدر، لكنه - هذه المرة - كـــان مكافأةً.. ومن العيار الثقيل!!

من سوء حظ (عبد العظيم الفول) أن (عصفور) لم يمت، وإلا كان مصير جثته على بعد خطوات قليلة من الحادث في باطن الترعة على جانب الطريق..

تمسكت به الحياة.. لكن! ما الذي يجبر هذا (الفول) على تحمل مسئولية ومصير شخص نكرة مثل (عصفور) ؟

ربما كانت الإجابة صعبةً للبصر، لكنها شديدة السهولة للبصيرة..

(الفول) كان ذاهبًا إلى القريةِ محملًا سيارته بأجهزة (الموبايل) ولفائف "الكيف" النادر ولعب الأطفال.. لا بد أن تزداد شعبيته بمعدل متسارع في هذا الوقــــت القليل، اقتربت انتخابات مجلس الشعب، والكرسي مهدد بالرحيل.. لم يمتلك خيارات أخرى..!!

لا بد من علاج (عصفور).. من الممكن أن يذهب بكل ما جئت به ومن أجله إلى الجحيم.. فهو بالتأكيد يعرفني!!.. عندما يسير في طرقات القرية مخبرًا الأهل بأن هذا (الفول) تسبب في إصابته وبالتالي سمعته ستكون "في الأرض"..

لم يحتمل هذه المغامرة! لم يمتلك (الفول) مفاتيح قلوب وعقول القرية، فهو لم يعش بينهم و لم يختلط عرقه بعرقهم، لذلك لم يعلم بأن ما كان سيفعله (عصفور) — إذا كان يعرفه فعلًا! — لم ولن يكون له جدوى! هذا إن كان سيفعل من شيئا من الأصل؛ فهؤلاء الناس لم يعد لديهم إلا حياقم للتفكير بها!! لم تعد الكرامة والشهامة أمورًا ذات جدوى عند الكثيرين، فهي "ما بتأكلش عيش"!!

هذه المرة كان القدر خائنًا (لعصفور) وأتى — ربما — لصالحه!!

استنجد (عصفور) بمساعدِي (الفول) متوسلًا بوساطتهم له بأن يطلبوا من "الباشا" أن يساعده مما أعطاه الله، بأيةِ وسيلة يكسب منها قوت يومه وتذهب معها ساعات عمره..

لم يعد يتحمل أن يسير بهذا البطء، استنجد بهم عارضًا عليهم كل الولاء للكبير – الذي لم يعرف له اسمًا – مقدمًا كل الوعود برد الجميل..!!

كان (الفول) قريبًا من الأحداث، ليجد القدر أيضًا يأتي له بوسيلة تخلّصه من هذا الطريق اللعين المليء بالبشر ذوي الرائحة غير المستحبة بالنسبة له، والمليء بالإهانات التي يقشعر لها جسده من توسلات هذه الفئة من البشر.. لم يكن يطيق كل ذلك، ولولا الكرسي لما وطئت أطراف أقدامه بداية الطريق الذي يصل به إلى هذا المستنقع الذي يحوي كائنات تقترب من البشر، والذي سيضطر إلى أن يأتيه مرات عديدة ليضمن بقاء كرسيه، وليضمن — بالتبعية – بقاء مصالحه..

(عصفور)..!! وليه لأ!!؟؟

فجأةً – وإن كان بعد مقدمات – أصبح (عصفور) شخصا ذا ثقل في القريـــة، وصاحب كلمةٍ مسموعة برغم قوامه الضعيف، لكن القوام لم يكن أبدًا معيارًا للقوة.. (عصفور) أصبح ممثلًا للبك (الفول) في القرية، وأصبح خيره على كـــل فقراء القرية بمباركةِ الكبير، لكنه كان حريصًا دائمًا على أن يكون خيرًا متقطعًا يضطر صاحبه إلى العودة له دائمًا..

يجب على (عصفور) أن يتقن اللعبة لينال الرضى!!

موقع مترل (عصفور) أصبح مكانًا يعتاد عليه أهل القرية جميعا في المواســم وفي الأعياد لأخذ معونة البك الكبير، وأصبح أيضًا حكمًا بحكم ســلطته وقوتــه ونفوذه، فهو يملك وسيلةً للثواب ووسائل عديدة للعقاب..

جاءت الأقدار (لعصفور) "على الطبطاب"، لتتيح له تطبيق المثل الشعبي علـــى لسان الفنان الشهير في ذلك الوقت: "أنا هابقى الظالم والحاكم وإنت المحكوم"..

كان لا بد أن ينتقم من هذا الشر الذي أحاط به لسنوات كثيرة.. كان حلمًـــا مستحيل المنال بالنسبة له أن ينتشي متعة الإحساس أنّ بإمكانه الـــتحكم في أي شيء.. فما بالك بكل شيء!!

أحد أعوان (عصفور) كان مشهودا له بالتقوى والصلاح، وهذا من الظاهر في اعتياده زيارة المسجد في أوقات الصلوات، وربما في أوقات أخرى.. لا يُدرى ما هي العلّة!! ولكن بالتأكيد هيَ التقوى...

جاء إلى (عصفور) فاسقٌ بنبإ، ليخبره باغتصاب (يونان لبيب) – وهو شابٌ في قريةٍ مجاورة – لطفلة صغيرة تدعى (مي أحمد)، وكانت الكلمات الخبرية شديدة اللهجة، وبمثابة عود الثقاب الذي أشعل غريزة (عصفور).. تذكُّره للحكمـــة

الشهيرة لـــلمطرب الشهير أيضاً: "أنا مش خرونج"، شعوره بأن عليه واجبًـــا يفرضه عليه دينه وهيبته وسط أهل القرية، كل هذه العوامل تجمعت لتســـاعد على تدفق هرمون "الأدرينالين" مندفعًا بشدة إلى جميع أجزاء جسده، لتنـــتفض عروقه غضبًا، ويستثار لديه إحساس الشهوة بضرورة ممارسة سلطته العقابية تجاه هذا الفعل الحيواني المحرم... لكن وقت الحساب لم يحن بعد..

***

كان (فادي) في السنوات الأخيرة من عمره في الجامعة.. أصبح قريبًا جدًا مـــن نهاية هذا الطريق المؤلم له ولـــ (يوحنا)، الذي يحلم نهارًا وليلًا بتلك اللحظة التي ستخلصه من عناء التفكير في مصير (فادي) و(جورجينا) إذا ما ذهبت به الأقدار ليلقى (جورجينا) الأم..

مع مضي العمر شعر (يوحنا) بقرب القدر، تغيرت العلاقة بينه وبين الكنيســـة، فأصبح يذهب من الحين للحين، يدعو الرب في كل حين أن يحافظ على ما تبقى منه فيما تبقى لـــ (فادي) من أجل أن يكمل رسالته.. (فادي) سيصبح مسئولًا عن (فادي) نفسه و(جورجينا) الصغيرة..

تلفاز صغير، يكبر بسنتيمترات قليلة عن مساحة كف يده، يعمل بالبطاريـــات كبيرة الحجم.. لم يكن باستطاعة (يوحنا) توفير هذا المطلب المستمر من الطاقة لهذا الجهاز الصغير، إلى أن أتى له أحد الزبائن باختراع غريب بالنســـبة لهـــذه القرية، وهو أنه جعل هذا الجهاز يعمل بمحول "الأتاري".. فمن حسن الحـــظ كان له المقدار نفسه من "الفولت".. ومن وقتها كان يستعين به لتسلية وقته بما يقدمه من فقرات لا معنى لها بالنسبة له، سوى ذلك البرنامج الذي يقدمه العالم

الدكتور (مصطفى محمود)، والذي يحكي فيه عن غرائب الطبيعة والكون وقدرة الله فيه.. كانت هذه الكلمات توسع أفقه الضيق، وتزيد إيمانه بوجود الله...

أحد زبائن عم (يوحنا) كان جالسًا على المصطبة بالخارج منتظرًا "طلبيتـــه".. كان شابًا في سن (فادي)، لم يجد سوى كتاب لديه، أخذ يسلي وقته به تجنبًـــا لإحساس الملل الناتج عن لحظات الانتظار الطويلة.. يلمـــح (يوحنـــا) ظهـــر الكتاب، ليجد عليه صورة ذلك الشخص الذي يأتي يوميًا على شاشة التلفاز.. الدكتور (مصطفى محمود).. كان الكتاب يحمل اسم "أناشيد الإثم والبراءة"..

استأذن (يوحنا) الشاب في الكتاب ليرى ما به، فاستشعر الشاب في عينيه طلبًا للكتاب على استحياء فأعلمه بأنه مستغنٍ عنه لفترة..

لم يجد (يوحنا) حرجًا في قراءةِ دعاء العبد الخطاء في آخـــر الكتـــاب، فهـــي روحانيات وتوسلات للإله الواحد، فهو عند المسلمين والمسيحيين سواء.. ربما لم يفكر هو في كل ذلك!!

في فجر يوم الجمعة صعد (يوحنا) إلى سطح البيت الطيني العتيق ليرى أجـــراس الكنيسة.. كانت أول مرةٍ يشعر فيها بهذا الحنين لرؤية تصادم هذه الأجراس مع بعضها محدثةً موسيقى لا تجد لها مسارًا سوى هذا المتوغل داخل شرايين القلب لتصل به إلى خشوع كامل.. ضعف رهيب فيه راحة لا يمكن الحصول عليهـــا كثيرًا.. في هذه الأثناء لم يجد (يوحنا) كلمات تعبر عنه ويحاور بها ربه ويحاكي بها هذا الخشوع سوى تلك التي حصل عليها من "أناشيد الإثم والبراءة"..

"إلهـــــي..

إنك ترى نفسي ولا يراها سواك..

تراها كالبيت الكبير الذي تصدعت منه الجدران وتهاوت السقوف وانكفأت الموائد..

بيتًا مهجورًا يتعاوى فيه الذئاب ويلهو فيه القردة وتغرّد العصافير..

ساعة تتلألأ فيه الأنوار وتموج فيه أشعة القمر..

وساعةً أخرى مظلمًا مطموسًا محطم المصابيح تسرح فيه العناكب..

مرةً تحنو عليه يد الربيع فتتفتح الزهور على نوافذه وتصدح البلابل وتغزل الديدان الحرير وتفرز النحلات الطنانة العسل..

ومرةً أخرى يأتي عليه الزلزال فلا يكاد يخلف جدارًا قائمًا لولا ذلك الحبل الممدود الذي يتزل بالنجدة من سماوات رحمتك..

حبل لا إله إلا أنت سبحانك..

أنت الفاعل سبحانك وأنت مجري الأقدار والأحكام.. وأنت الذي امتحنت وقويت وأضعفت وسترت وكشفت.. وما أنا إلا السلب والعدم.. وكل توفيق لي كان منك وكل هداية لي كانت بفضلك وكل نور كان من نورك.. ما أنا إلا العين والمحل وكل ما جرى علي من استحقاقي وكل ما أظهرت فيّ كان بعدلك ورحمتك.. ما كان لي من الأمر شيء..

وهل لنا من الأمر شيء!؟"

يجد في نفسه طمأنينة كبيرة بعد هذه الحالة الروحانية التي لم يعشها قبل هـــذه اللحظة، طالبًا من خلالها عفو الرب، طالبًا منه أن يعطيه وقتًا آخر قليلا، حــتى ترحل روحه راضيةً مرضية...

انتهى (فادي) من أداء امتحانات السنة الأخيرة في الجامعة، ليتبقى فقط ظهور نتيجةِ فترة دأبه على كتبٍ وأوراق لا معنى لها، ونتيجة عناء (يوحنا) طيلة هذه السنوات.. موعد ظهور النتيجة بعد يومين من يوم الميلاد...

في يوم العيد، كان (فادي) يعيش أسعد لحظات حياته؛ فقد تخلى عنه كابوس هذا السجن الذي جعل المسئولية التي كان عليه أن يتحملها مسئولية عاجزة بلا أيدي.. الآن أصبح حرًا.. الآن أصبح على استعداد بأن يرد الجميل وأن يتحمل مسئولية (جورجينا) الصغيرة.. وأن يريح (يوحنا) ما تبقى له من العمر؛ فبركته في هذا الوقت أهم من عمله.. وطول وقت الاستفادة بها مرتبط طرديًا بطول وقت الراحة من هذا العمل الشاق الذي يذهب بالعمر تدريجيًا مع قسوته...

ازدادت كلمات الشكر والثناء من (فادي) و(يوحنا) للرب داخل الكنيسة في يوم العيد.. امتزجت الفرحة بالبكاء.. خرج (يوحنا) من الكنيسة لرغبة (جورجينا) الصغيرة في اللعب مع أقرانها بالخارج.. مازال (فادي) يصلي ويدعو الله بأن يعينه على ما يجب عليه أن يفعل.. في لحظة كان لا بد من الخروج، فـ(يوحنا) الأب يقف بالخارج منتظرًا (فادي) لكي يبدأ عناقًا طويلًا تتدافع من خلاله خبرة وعناء السنين إلى (فادي) بحديث غير مباشر من الروح للروح، فمن يدري ما ستكون عليه الأوضاع في العيد القادم.. (فادي) سيكون عليه تكملةُ المسيرة وحمل الراية..

"حاولتُ – على قدر الاستطاعة وفوق الاستطاعة – أن أساعد في أن يكون مقدار العناء الذي يلقاه أقل من ذاك الذي لقيته طيلة هذه السنوات العجاف".. كل هذه الأمور احتلت تفكير (يوحنا)، بينما كان (فادي) في طريقه للخروج مع أقرانه من باب الكنيسة.. خطوته الأولى كانت بقدمه اليسرى للخارج..

قدمه اليمنى سبقها جسده في الاصطدام بالأرض، فطلقات عشوائية من رصاص (عصفور) ذهبت باتجاه مدخل الكنيسة كانت كافيةً لكتابة كلمة "النهايـــة"، وصُوبت نحو أحلام (فادي) وراحة (يوحنا) لتقتل كل شيء..

أجزاء من الثانية قضت على كل الأحلام وعناء السنين، لتصعد بـــ (فادي) إلى عالم يستحقه.. حتمًا سيجد فيه عدلًا!!..

ذهب (فادي) قبل (يوحنا) للقاء أمه (جورجينا)، تاركًا إياه غارقا في بحر عميق يحيط به من جميع الاتجاهات.. لا يجد مخرجًا.. لن تجد (جورجينا) الصغيرة أمًّـــا تضعها تحت عمود النور لعل مصيرًا أفضل بانتظارها..

لم يكن (فادي) وحيدًا.. العديد من أقرانه بجواره لقوا المصـــير نفســـه.. أرواح بريئة متشابهة صعدت متشابكةً إلى رحمة السماء تنظر بشفقة وتترحم على مـــن في الأرض تاركةً لهم العذاب.. كم منهم له (جورجينا) صغيرة كان عليـــه أن يرعاها!!

لم أعلم أن هناك آيةً في الإنجيل تأمر المسيحيين باغتصـــاب أطفـــال المســـلمين ليستحقوا هذا المصير، لكني أعلم - يقينًا - بوجود آيةٍ في القرآن الكريم **"مـــن قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعًا"**..

(عصفور) ما زال على قيد الحياة.. عضو المجلس نجح - من خلال (عصفور) - أن يحافظ على كرسيه.. لم ولن ينال العقاب؛

فـــ"البيه معاه حصانة"..!!

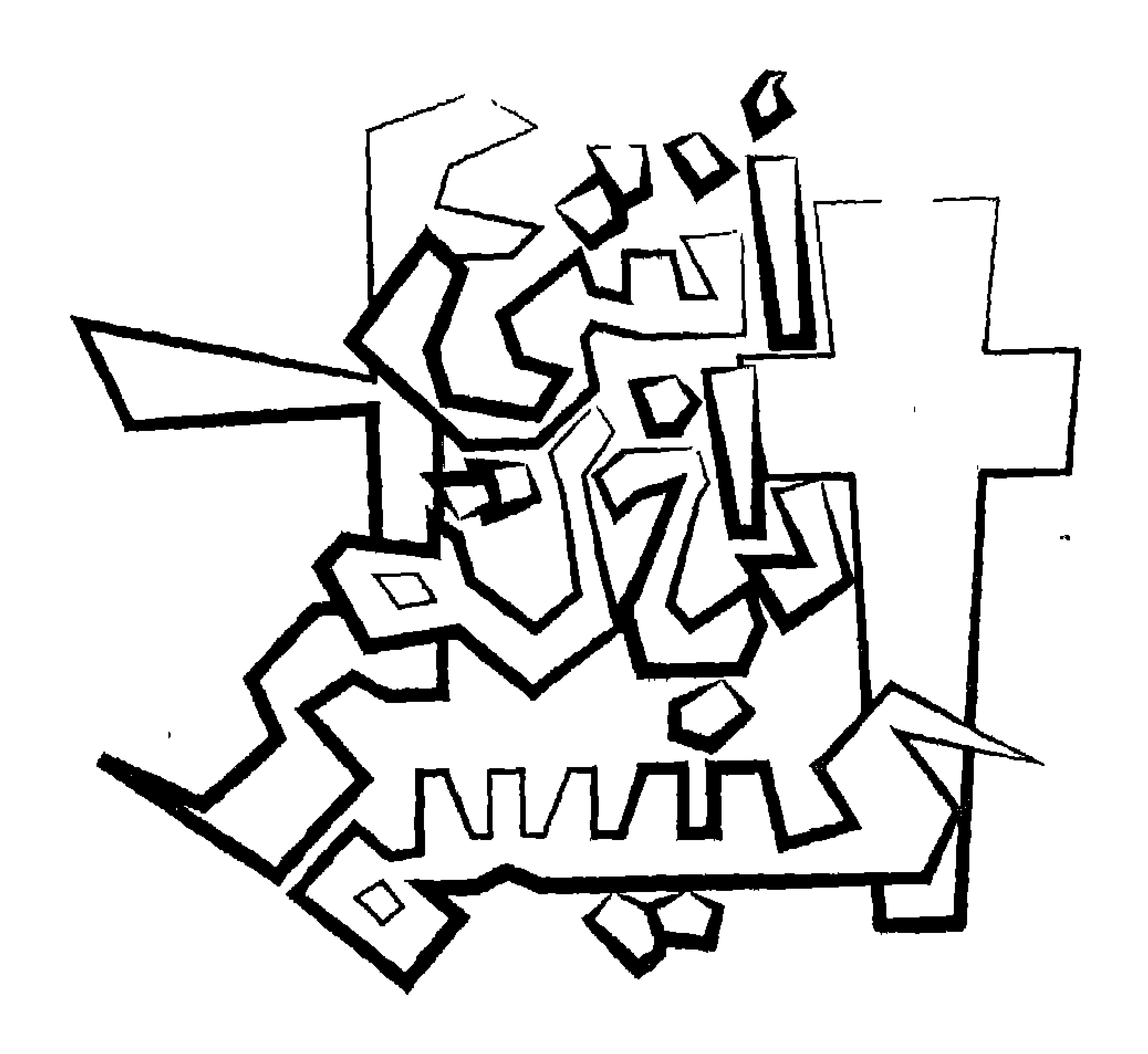
ميكرو ستوري

مصحف صغير



- يمسك المصحف الصغير بيده اليمنى، بينما تتعلق يده اليسرى بـــ"علّيقـــة" المترو.. يقرأ منه آيات بصوت جهوري مرتفع.. تنظر إليه سيدة مســيحية مسنّة بنظرات استنكار يغلفها الخوف.. فقط أدارت له جانـــب وجههـــا الذي يحمل أذنًا تشتكي من ذلك الجهاز الذي يساعدها على السمع.

انتي داخلة على كنيسة!



ينتهي اليوم الجامعي فتذهب إلى المترل لتفتح الباب بسرعة شديدة متوجهـــةً إلى "الحمّام"، لتجد صوتًا عنيفًا يلاحقها: "إنتي داخلة على كنيسة؟"!!

نادي الكُوَيسين الرياضي

للناس الكُوَيسته بس

منذ عام 1952

- في يوم العطلة الأسبوعية، يذهب إلى النادي ليلعب مع رفاقه كرة القدم.. يأتي وقت العودة، فتتشابك يده بـ يد والده ليحدثه عن اكتشافه بينما هما في الطريق إلى السيارة: "بابا.. بابا.. كنت بالعب النهاردة مع واحد مسيحي.. بس والله طلع كويس".

حاللو يا حاللو

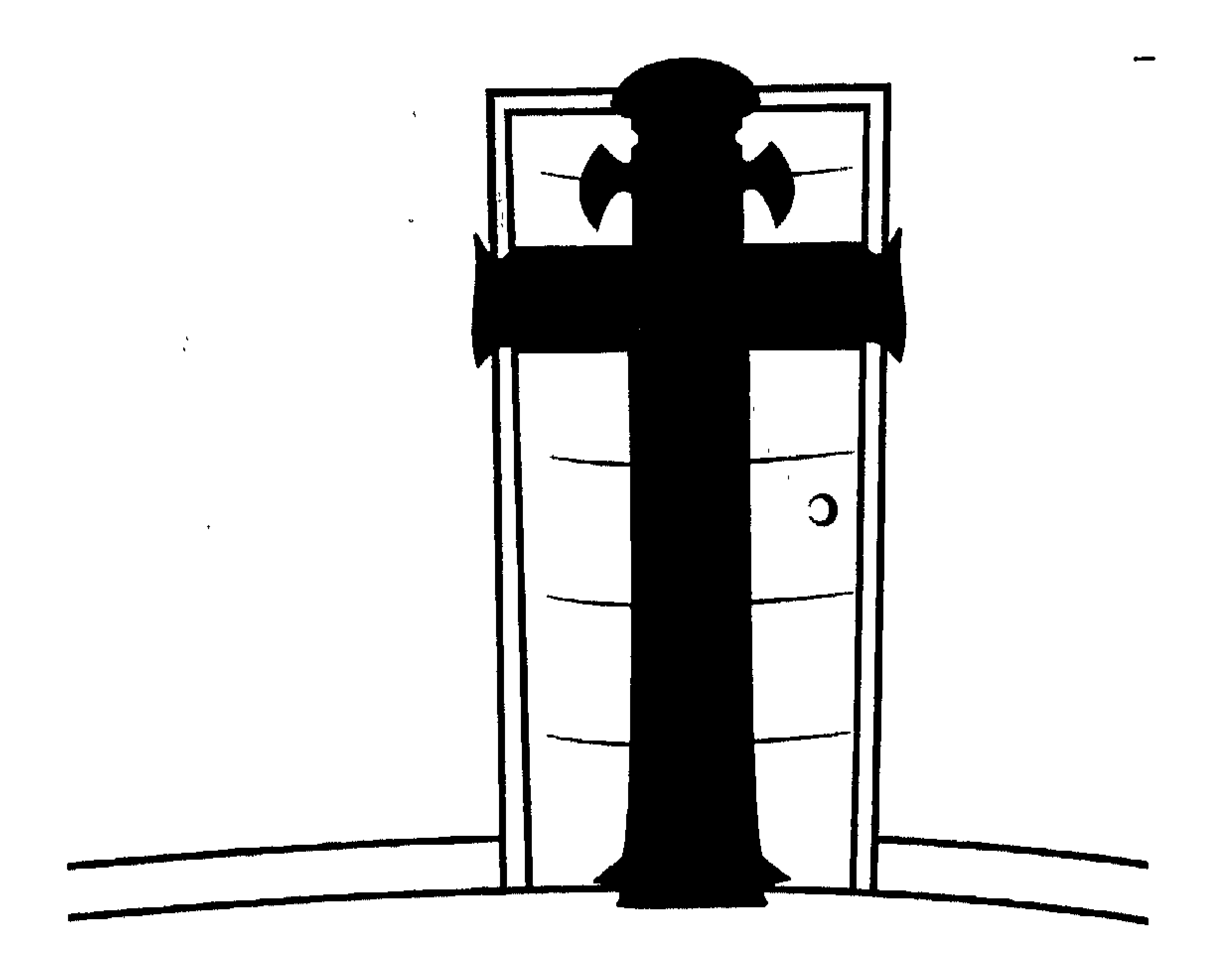
بالقبطي

- يدرس اللغة القبطية في كلية الآداب.. يفتح قاموسه لترجمة بعض النصوص ليجد هذه المعاني "حاللو يا حاللو" بمعنى "يا شيخ افرح"، أما معنى كلمة "وحوي": "اقتربوا"، ومعنى كلمة "إيوحا" هو "الهلال".. اقتربوا لرؤية الهلال.

كسبت عُمره
MABROUK

- ينادي النائب بمجلس الشعب على (ريمون صليب) من منبر الساحة بعد احتفالية عيد الفطر، ليعلن فوزه بجائزة "العمرة"، لاختياره في السحب المقام على مسابقة المعلومات الدينية.. يندب حظه التعس، لكن سرعان ما تحولت جميع ملامحه إلى ما يشبه ابتسامةً عريضة عندما رأى دموعًا تتساقط فرحًا من عينين لم تتوقفا عن الحديث بكلمات تحمل كل معاني الشكر والامتنان، من والدة صديقه المسلم الذي أهداه إياها.

أزمة قلبية



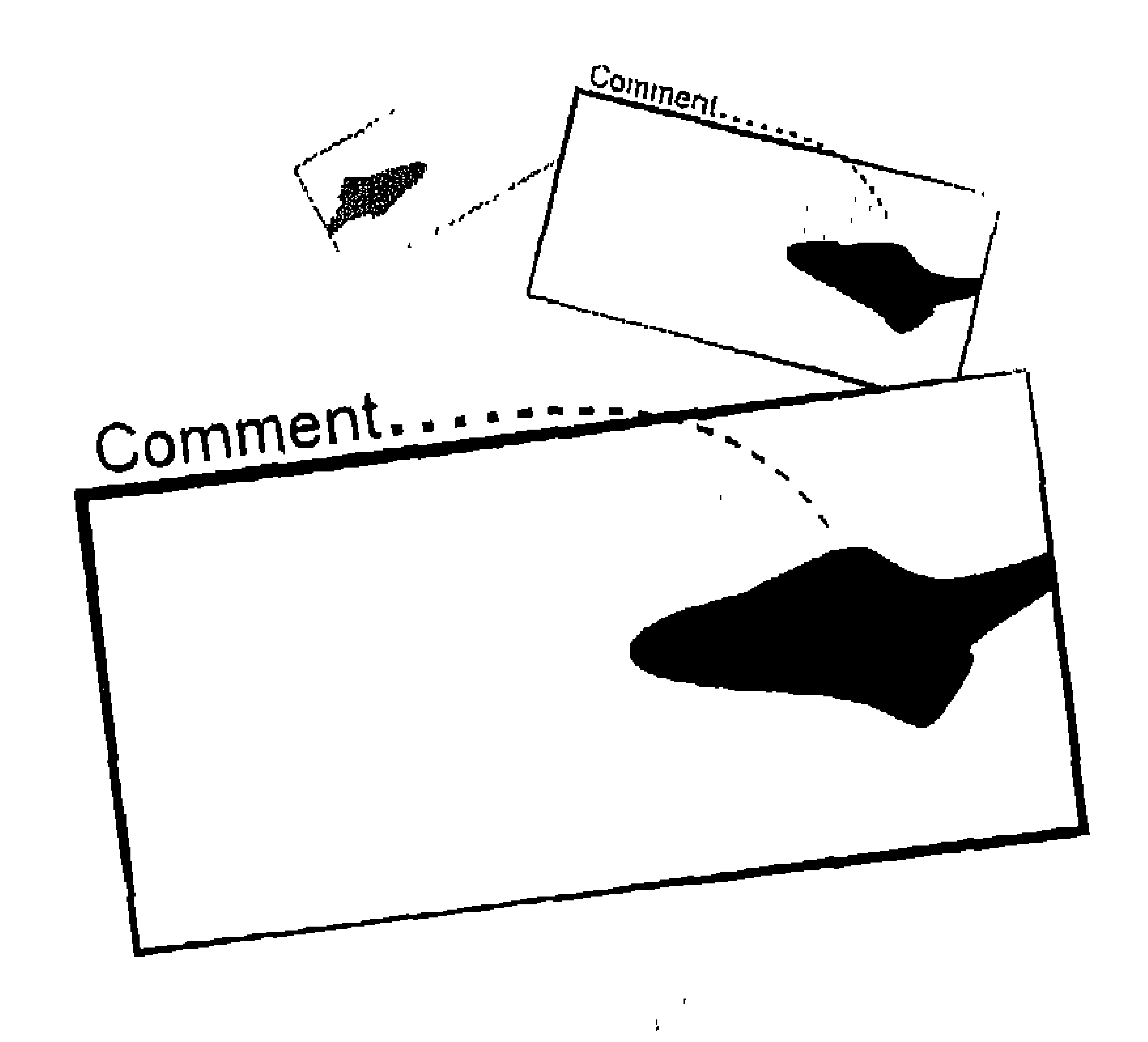
- أزمة قلبية تصيب (بيتر كمال) فجأة، لينادي ابنه (مينا) طالبًا منه الذهاب لجاره المسلم بالطابق الأعلى وطلب العون منه.. في خطوة واحدة سريعة كانت قدما أم (مينا) عند باب "الشقة" لتغلق الباب بسرعةٍ وعنف قبل أن يصل إليه (مينا)، ليحدث انفجار يهز دويُّه جوانب المترل.. تسرع إلى الهاتف لطلب النجدة من طبيب جمعية الرعاية المسيحية..

قبل ساعة الافطار



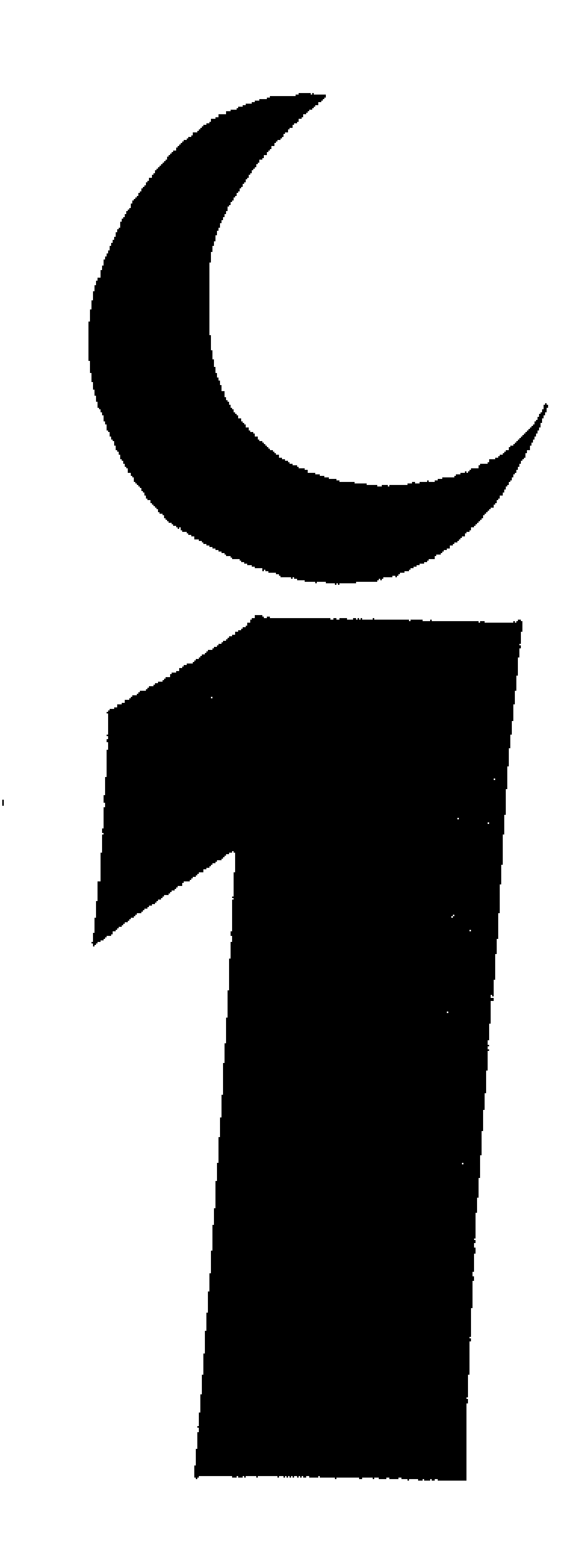
أمضوا ليلتهم في جمع التبرعات وشراء المستلزمات التي تساعدهم على صناعة فوانيس كبيرة الحجم ومجسمات لمساجد صغيرة؛ ليزينوا بها الشارع الضيق في حي (شبرا).. بالنسبة لهم، هي العلامة الوحيدة لفرحة قدوم شهر رمضان.. في ليلة الأول من رمضان وقبل ساعة الافطار تجتاح الشارع قوات تنفيذية من الشرطة جارفةً معها كل ما دأب الأطفال على صناعته طوال ليلِ البارحة.. ينغمس الشارع الضيق في ظلام دامس بعدما أضاءته أنوار الزينة، إثر بلاغ من المواطن (أبانوب إسحق).

طقوس يومية



- استيقظ صباحًا، ليمارس طقوسه اليومية بتحضير كوب "السكلانس" النصف لتر.. يفتح غطاء "اللابتوب" ليتابع جديد "الفيسبوك".. يفاجأ "ببوست شيرد فروم فريند" يتصدر الصفحة ويحمل عنوانًا لمجموعة "قاطع مسيحيًا تنقذ مسلمًا".. هذه المرة لم يستطع إكمال طقوسه اليومية التي اعتاد عليها.. فجأةً انتابه شعور بضرورة الذهاب لعمل بعض - بل الكثير - من "البي بّي" في الحمّام؛ لعدم قدرة مثانته على تحمل هول ما رأى.

لحظة التتويج الأولى



سرقت منه هوايته سنوات عمره.. أمضى العقد الثالث من العمر لا يهوى سوى الكاميرا والتصوير الفوتوغرافي.. لحظة التتويج الأولى للمصور (سمير ميخائيل كانت جائزة المركز الأول لمسابقة التصوير الضوئي، عن الصورة التي جسدت الساحة الداخلية لجامع (ابن قلاوون).

هذا ما أتمناه

- صفحة بيضاء فارغة، تبدأ بخط أسود ممتد وتنتهي بجملة "هــذا مــا أتمّناه".. هذا ما فكرت فيه في ذلك الوقت لكي تجيب به على السؤال: "اكتب موضوعًا في ما لا يزيد عن عشرة أسطر في ما تتمناه لمســتقبل العلاقة بين مسلمي ومسيحيي (مصر)".. لم تعرف حتى الآن الســبب الحقيقي لدراستها المحاسبة التجارية، بعدما كانت تحلم بالطب.. برغم ألها تمنّتها صفحة بيضاء جديدة!

عن الكتاب

نادراً ما تكون العلاقة بين أنظمة الحكم والمثقفين طيبة فالمثقف بطبعه ناقد للأوضاع وتقع عينه دائماً على السلبيات ويعمل عقله دائماً في اتجاه الإصلاح ويتحدث لسانه عموماً في أماكن عدة ومناطق لا يروق للأنظمة أن يسمع الناس فيها نقداً أو مطالب بالإصلاح أو مواجهة السلبيات.

وغالباً ما تطنطن أنظمة الحكم بالعبارة الشهيرة التي أطلقها وزير دعاية هتلر النازي جوبلز: "عندما اسمع كلمة مثقف أتحسس مسدسي" لتوحي للمثقفين ولعامة الناس بأنها "سمن على عسل" مع المثقفين، وأن زمن المواجهة بالرصاص انتهى مع غياب هتر وجوبلز والنازية وأن الخلافات مع المثقفين "هي من أجل الصالح العام" وأن المثقف الفلاني "دماغه ناشفة فقط" أو أن المثقف "العلاني" لم يطلع على تفاصيل الأمور وحين يدرك التفاصيل سيتحول من معارض الى مؤيد، علماً بأن صاحبنا المثقف لا هو معارض ولا يحزنون وإنما مجرد مثقف أو ناقد أو إصلاحي لا غير.

الحديث هنا ينصب على المثقف الحقيقي وليس مدعي الثقافة أو راكب موجتها أو المتاجرين بها خصوصاً بعدما تحولت شبكة "الانترنت" عموماً وموقع "فيس بوك" خصوصاً إلى مجال خصب ووسيلة مهمة لعرض إبداعات المثقفين وآرائهم، إضافة بالطبع الى كون الشبكة مجال والموقع مرتع لأدعياء الثقافة وركاب موجتها.

على ذلك فإنني شخصياً أتحسس عقلي وأتلمس فكاري واختبر قدراتي واستخدم خبراتي كي أفرق ما بين ما هو ثقافة وبين ما لا علاقة له بالثقافة أو الإبداع، ومثل غيري أضحك على "إنتاج" بعضهم شعراً ونثراً وأدباً على الشبكة العنكبوتية، لأنه لا يمت للشعر أو النثر أو الأدب بأي صلة ولكن أصحابه يعتقدونه كذلك ولا يقبلون بنقده ناهيك عن رفضه، ويرضون أنفسهم بتعليقات أصدقائهم التي تدخل في باب المجاملة ويصدقون أن ما ينتجونه "جامد موت" أو "حلو آخر حاجة" أو "فظيع طحن".

شخصياً عرفت عن طريق "فيس بوك" مئات من أصحاب الإنتاج "الجامد موت" واتفادى عادة من باب اللياقة واللباقة والكياسة التعليق على ما ينشرونه حتى لا أحرجهم أو أنبههم الى الأخطاء اللغوية والنحوية والمنطقية في ما يكتبون، لكن في الوقت نفسه عرفت عشرات آخرين جعلوني أحمد الله على نعمة "الانترنت" وخير "فيس بوك" حيث أتيح لهم الظهور عبر وسيلة سهلة وبسيطة ومؤثرة وفعالة لعرض إنتاجهم الذي يدخل وبقوة في باب الإبداع.

بين يدي كتاب جديد بداية من غلافه وحتى الصفحة الأخيرة منه يضخ في عقلك محفزات لقراءته دون أن تتركه ويتناول مرضوعاً شائكاً ولكنه مهم يتعلق بالعلاقة بين المسلمين والأقباط في مصر، يحكي وقائع عاشها اثنان من الأصدقاء أولهما مسلم: مصطفى الصياد والثاني قبطي: مينا شنودة وهما استطاعا وعبر لغة راقية ومشاعر صادقة وثقافة عالية ووعي شديد التحرر من قيود الديانة وانطلقا

الى رحابة الإبداع وحذرا من مرض قد يصيب "رأس السلطة" وقبل أن يذهب عقلك الى التساؤل عن: أي سلطة يقصدان؟ فإن الكاتبين سارعا الى التوضيح بأنهما يقصدا سلطة العقل على صاحبه.

يحمل الكتاب اسم "استيجماتيزم في المخ" وفي مقدمته توضيح لمعنى العنوان: "تحول ذلك الاستيجماتيزم من كونه مشكلة الى خطورة حقيقية عندما تعدى حدود البصر ليصل الى البصيرة أي إلى جذور المخ ورأس السلطة" والمقصود هنا: "سلطة المخ على أفكارك وتوجهاتك الشخصية". في شأن المسألة الطائفية في مصر حذر الكاتبان من "تحول المرض الى وباء لا علاج له يجرف في طريقه الأخضر واليابس ما لم ننهض جميعاً بثورة عقلية وفكرية مضادة للوقاية منه سريعاً واقتلاع جذوره خير من علاج بلا جدوى".

لم يكتف الصياد وشنودة بسرد وقائع مرت بكليهما ولكنهما تناولا مفردات في الموروث الثقافي المصري رسخت الفرقة بين المسلمين والأقباط وصار المصريون يرددونها دون أن يعوا مدى خطورتها، وبين ما كتبه الاثنان: "في يوم العطلة يذهب الى النادي ليلعب مع رفاقه كرة القدم.. أتى وقت العودة فتشابك يده يد والده ليحدثه عن اكتشافه بينما هما في الطريق الى السيارة: بابا.. بابا.. كنت بالعب النهاردة مع واحد مسيحي.. بس والله طلع كويس".

الإعلامي والكاتب الصحفي الأستاذ – محمد صلاح

بانتظار آرائكم ويسعدنا تواصلكم

Astigmatism.Thebook@Gmail.com

Facebook Fan Page:

أستيجماتيزم في المُخ

http://www.facebook.com/pages/ktab-astyjmatyzm-fy-almukh/112570788805366

الـ Promo الرسمي للكتاب من انتاج شركة Expert Studios



www.Expert-studios.com

Mohamed Saa'd

Abdullah Hassan

بدأت القراءة و وجدتني أقول على رأي الانجليز " يس " أو " هيييييه "
أخيرا امتلك احد شجاعة فعلها : الحديث بصراحة و دون حساسيات عن أوضاع المسيحيين و المسلمين في مصر .. أخيرا يا ربي بصوت عال و ساخر و دمه خفيف و بوصف حقيقي و دون عقد .

الإعلامية - **رولا خرسا**

بين يدي كتاب جديد ، بداية من غلافه حتي الصفحة الأخيرة منه يضخ في عقلك محفزات لقراءته دون أن تتركه و يتناول موضوعا شائكا ولكنه مهم يتعلق بالعلاقة بين المسلمين و الأقباط في مصر ، يحكي وقائع عاشها اثنان من الأصدقاء أولهما مسلم : مصطفي الصياد، و الثاني قبطي : مينا شنودة. وهما استطاعا، وعبر لغة راقية ومشاعر صادقة و ثقافة عالية و وعي شديد التحرر من قيود الديانة ، و انطلقا الي رحابة الإبداع .

لم يكتف الصياد و شنودة بسرد وقائع مرت بكليهما و لكنهما تناولا مفردات في الموروث الثقافي المصري رسخت الفرقة بين المسلمين و الأقباط و صار المصريون يرددونها دون أن يعوا مدي خطورتها .

الإعلامي و مدير تحرير جريدة الحياة - **محمد صلاح**

في يوم العطلة الاسبوعية .. يذهب الى النادي ليلعب مع رفق
القدم .. أتى وقت العودة فتتشابك يده بيد والده ليحدثه
اكتشافه بينما هم في الطريق الى السيارة : "بابا .. بابا .. ك
بلعب النهاردة مع واحد مسيحي بس و الله طلع كويس

من باب " ميكرو ستوري " - أستيجماتيزم في الم

Cover & Illustrations by

978-977-6376-10-6
9 789776 376106